



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

منهج كتابة تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب عند ابن
عذراي (حي 712هـ) وابن خلدون (ت 808هـ)
(دراسة مقارنة)

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص: تاريخ القرون الوسطى

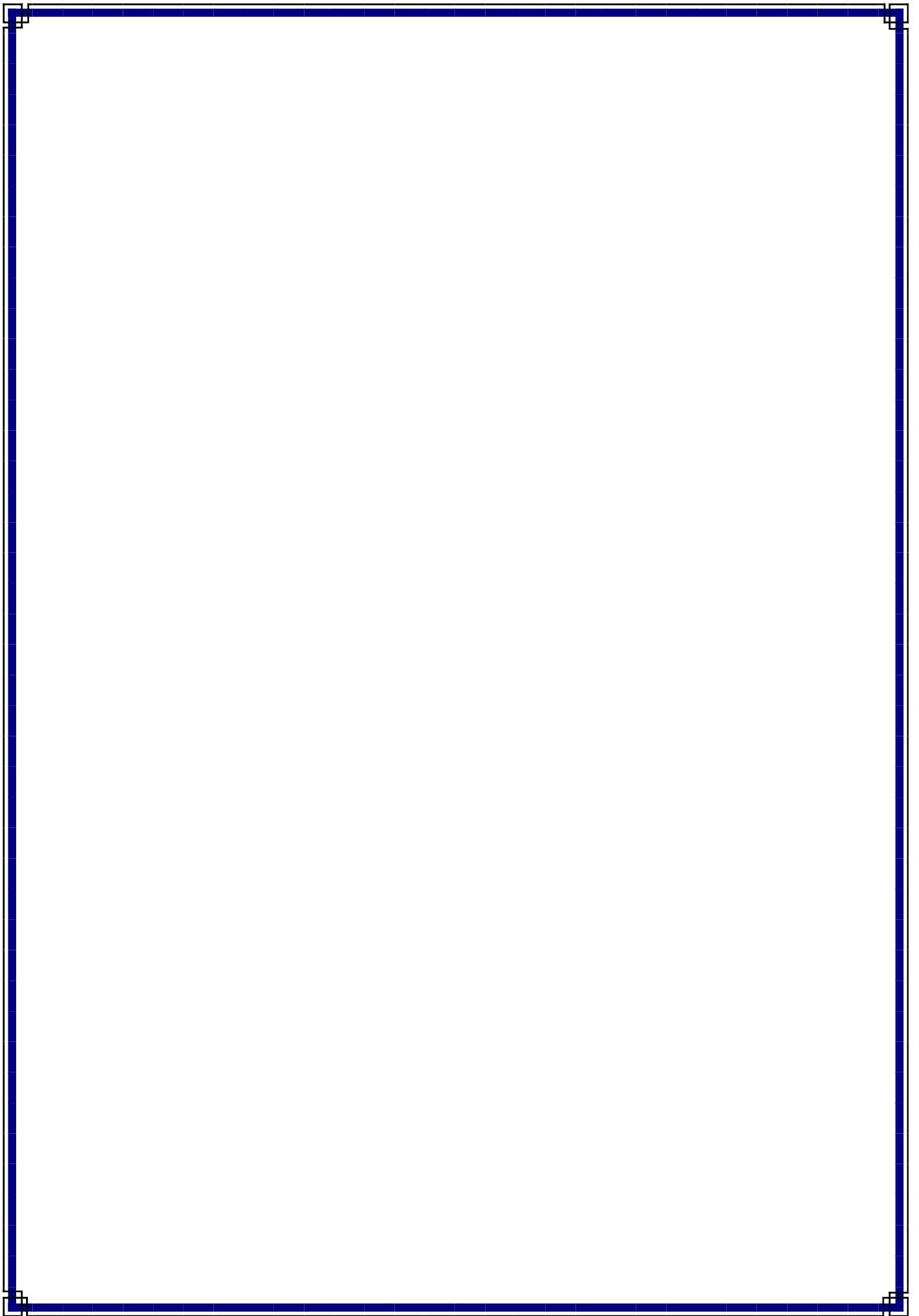
إشراف الأستاذ:

د. الطاهر بونابي

إعداد الطالب:

إسماعيل بونيف

السنة الجامعية: 1434-1435هـ / 2013-2014م



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

منهج كتابة تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب عند ابن
عذراي (حي 712هـ) وابن خلدون (ت 808هـ)
(دراسة مقارنة)

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ القرون الوسطى

إشراف الأستاذ:

د. الطاهر بونابي

إعداد الطالب:

إسماعيل بونيف

السنة الجامعية: 1434-1435هـ / 2013-2014م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لا فخر إلا عاشراً

إلى التي جعل الله الجنة تحت أقدامها وغمرتني بعطفها وأنارت لي درب

حياتي بحبها أُمي العزيزة حفظها الله وأطال في عمرها

إلى الذي رباني على الفضيلة والأخلاق وشمّلتني بالعطف والحنان وتحمل عبئ

الحياة حتى لا أحس بالحرمان ينبوع العطاء الذي زرع في نفسي الطموح

والمثابرة أُمي العزيزة حفظه الله وأطال في عمره

إلى من يحملون في عيونهم ذكريات طفولتي وشبابي..... إخوتي وأخواتي.

أهدي هذا العمل

شكر وعرّفان

ملء الفؤاد أقول حمدا خالقي حمدا يترجم ما يجيش بخافقي
لواه ما خطت يميني صفحة وما استوى قلبي وأرسل ناظقي
فله المحامد كلّها عدّ الحصى ما انشقّ أو أتى من غاسق

أحمد الله على آلائه حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، حمدا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، أن سهّل لي
مبتغاي، ووقّفتي ومدّني بالعزم والإرادة لإتمام هذا البحث، ثم أتقدّم بجزيل الشكر والعرّفان إلى كلّ
من ساعدني من قريب أو من بعيد، وعلى رأسهم أستاذي المشرف: "د.الطاهر بوناوي"؛ لا على
سبيل العادة في تقاليد البحوث العلمية، ولكن إيمانا صادقا بفضلته عليّ، فلقد تعلمت من أدبه
وتواضعه قبل علمه، ولم ييخل عليّ بالنصح والتوجيه فكان نعم المرشد، فله مني جزيل الشكر،
وجميل العرفان، وصادق الدعاء.

كما يسرني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرّفان للأستاذ "الحضر بولطيف" الذي فتح لي أبواب
مكتبته، وأعانني بالنصح والإرشاد، وكان لي خير معين.
كما أوجه شكري إلى كل أساتذتي من أول عام إلى آخر هذه السنة على المجهودات والنصائح التي
قدموها لنا.

وختاما نسأل الله العظيم أن يتقبل منا هذا العمل، خالصا لوجهه الكريم.

المقدمة

أ- أهمية الموضوع وإشكاليته:

دراسة منهج الكتابة من خلال المؤلفات التاريخية تبقى ولا شك بالغة الأهمية رغم كثرة ما أُلّف فيها⁽¹⁾، فالباحث المتصفح للإرث التاريخي الوسيطى يدرك مدى الحاجة إلى المزيد من القراءات العلمية الرصينة في هذا الجانب والتي يتخللها روح نقد مستوحاة من المناهج الجديدة في ميدان البحث التاريخي، وتزيد هذه الدراسات قيمة عند المقارنة بين مناهج الكتابة لدى المؤرخين، للتمكن من رصد مسار إنتاج تاريخي في إطار جغرافي وزماني معين، والإلمام بتطور تلك الكتابات التاريخية، مما يفضي إلى فهم أعمق للتاريخ، وتتبع تطور مناهجه، وإيجاد تفاسير لما يحول دون فهمه من علل.

وإن الأبحاث في الأسطوغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي تكاد تكون قد استقرت على اتفاق معين حول معالم إنتاجه، لكن أكثر هذه الأعمال وجهت اهتمامها إلى جوانب معينة متناسية جوانب أخرى من أهمها مقارنة ومقابلة هذا التراث التاريخي منهجا، فإذا تناولنا أعمال مؤرخ واحد كتب مؤلفاته خلال مرحلة زمنية على امتداد عمره، يتبين أن هناك اختلافات وتنوعات وتغيرات في المواقف أو حتى تعديلات لمجرد النمو الفطري واتساع الرؤية، هذا مع المؤرخ الواحد فما بالك لو سلطنا الضوء وتتبعنا بعين الناقد المحلل أعمال أكثر من مؤرخ، المسألة لن تكون بتلك البساطة التي ننظر بها إليها وهي دراسة التاريخ كعرفة وعلم.

وينبغي أن أشير إلى أن تاريخ الكتابة التاريخية أو "تاريخ التأريخ" دراسة مستحدثة إلى حد ما، فقد درج المؤرخون المحدثون على قراءة كتب قدامي المؤرخين باعتبارها مصادر يتعرفون من خلالها على الحقائق والآراء والمواقف التاريخية، ولا يزال هذا موقف الكثير منهم، في حين يرجع الفضل إلى قلة آخرين مثل المؤرخ الفيلسوف الإيطالي كروتشه بينديتو وتلاميذه في وضع "تاريخ التأريخ" على خريطة الدراسات الأكاديمية، بالإضافة إلى العديد من مؤرخينا نذكر من بينهم حسين مؤنس، ومحمود إسماعيل، وشاكر مصطفى، وعلاوة عمارة.

(1) من أهم الدراسات:

- يسري عبد الغني عبد الله: معجم المؤرخين المسلمين-حتى القرن الثاني عشر الهجري-، ط1، لبنان- بيروت: دار الكتب العلمية، 1991م.
- فرانز روزنتال: علم التاريخ عند المسلمين، تر: صالح أحمد العلي، ط2، لبنان- بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1983م.
- شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون- دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام-، ط3، لبنان- بيروت: دار العلم للملايين، 1983.
- بيريل سمالي: المؤرخون في العصور الوسطى، تر: قاسم عبده قاسم، ط2، القاهرة: دار المعارف، د.ت.

ويعتبر ابن عذاري المراكشي (حي 712هـ/1312م): وعبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ/1405م) من كبار مؤرخي حقبة العصر الوسيط، نالوا شهرة كبيرة، عايشا نفس الفترة التاريخية، إذ عاصر الأول عهد الموحدين وحكم بني مرين، وعاصر الثاني دول العصبية البربرية الكبرى (الحفصيون، الزيانيون، المرينيون)، وكلاهما أسهم في تطور منهج الكتابة التاريخية بنقلة نوعية ميزتهما عن نظرائهم من مؤرخي عصرهم وسابقيهم بقدر ما ميزتهما عن بعضهما، ورغم أن ابن خلدون كان من أكثر من خضع لفحص مختلف التوجهات التاريخية الحديثة، ركزت في أغلبها على كتابه المقدمة، في حين لا يزال كتابه التاريخي "تاريخ العبر" يحتاج إلى حفر في نصوصه وفهم لمنهجه، في مقابل ابن عذاري الذي وصلنا من ثمار كتاباته التاريخية كتاب "البيان المغرب"، فإنه كذلك بحاجة ماسة إلى مزيد من الدراسات التي تثمن قيمته التاريخية.

ولطالما شديني شغفي للبحث الى المواضيع المنهجية وكل ما يتعلق بمجال الكتابات التاريخية، وحثني أكثر على الخوض في دراسة مقارنة لمنهج ابن عذاري وابن خلدون في الكتابة التاريخية، محددًا مجال المقارنة في تاريخ الفتح الإسلامي للمغرب، وقد وقع اختياري على هذا الموضوع بالذات لجملة من الاعتبارات أصوغها فيما يلي:

- أولاً: كان اختياري لهذين المؤرخين كنموذجين للدراسة نظراً لأنهما وليدا قرن كان كل شيء فيه يشير إلى أن شمس الحضارة الإسلامية آخذة في الأفول، ليرز فيه ابن عذاري وابن خلدون بتميز في مجال الكتابة التاريخية.
- ثانياً: جاء انتقائي لتاريخ الفتح الإسلامي محورا للمقارنة على اعتبار أن نصوص الفتح من النصوص التأسيسية للتدوين التاريخي الإسلامي، وأحداثها بعيدة عن زمن المؤرخين، مما يجعلها تُبرز بوضوح مدى نجاعة منهجهما في الكتابة وتصوير الأحداث.
- ثالثاً: تتبّع المنهجية التاريخية لابن عذاري وابن خلدون، وإبراز التمايز بينها وبين المؤرخين الرواد الذين سبقوهم في التدوين التاريخي؛ من أجل تلمّس رؤية جديدة في دراسة التاريخ ومنهجه.
- رابعاً: التعرف على مصادر ابن عذاري وابن خلدون وأسلوبهما في الكتابة التاريخية، والاستفادة من ذلك في التعامل مع الخبر التاريخي في الحاضر والمستقبل، بالتدقيق في معايير النقد في تلقي الأخبار عندهما وإثباتها، وبيان مدى التزامهما بتطبيق تلك المعايير على كتابيهما.

- خامسا: رصد أوجه الاختلاف بين ابن عذاري وابن خلدون في منهج الكتابة من خلال استحضار القرائن وإيجاد تفسير لهذه الفروقات بما يوضح المعايير التي تتحكم في طبيعة الكتابة التاريخية.
- سادسا: رغبتني في إيجاد تفسيرات للاختلاف المنهجي بين المؤرخين، ومنه تبيان المؤثرات التي تساهم في بناء الذات التاريخية للمؤرخ وعوامل رسم توجهاته في المنهج والأسلوب.
- وانطلاقا من جملة هذه الاعتبارات تولد لدي إشكال عام تمحور حوله موضوع البحث صغته فيما يلي:
- ما الذي يميز منهج كل من ابن عذاري وابن خلدون في كتابة قضايا الفتح الإسلامي لبلاد المغرب؟ وهذا الإشكال المحوري تشعبت عنه إشكاليات فرعية نسوقها كالتالي:
- ما هي المؤثرات التي ساهمت في بناء الذات التاريخية لكل من ابن عذاري وابن خلدون وأحدثت الفرق في منهج كتابتهما للتاريخ؟
- إلى أي مدى يمكن التسليم بأن ابن عذاري وابن خلدون مجددان في منهج الكتابة التاريخية بالقياس على سابقهم من المؤرخين؟
- وما الذي يميز ابن عذاري وابن خلدون أحدهما عن الآخر في منهج الكتابة وإلى أي مدى يمكن القول بنجاعة منهجهما التاريخي؟

ب- المنهج المتبع:

يصعب في الغالب تحديد ما تم توظيفه من مناهج في موضوع البحث بشكل دقيق، ذلك راجع إلى طبيعة الدراسة التي تفرض استخدام بعض أدوات المنهج وإسقاط أخرى، لذلك ومع إدراكي بعدم استيفائي لمتطلبات أي من المناهج بشكل كامل فقد حرصت على تكييف بعض أدواتها وفق متطلبات موضوع الدراسة، فاعتمدت منهجا قائما على الاستنباط والوصف والتحليل والمقارنة والإحصاء لأن هذه الأدوات المنهجية تساعد في فهم أسلوب المؤرخين، والطريقة التي سلكوها أثناء الكتابة التاريخية، ومن ثمّ اللجوء إلى تحليل هذا الأسلوب، وتعليل ما نتج عن التحليل من أحكام.

وبالنظر إلى طبيعة هذه الدراسة أفحمت منهج المقارنة، واستعنت بالقرائن والشواهد لتبرير نتائج هذه المقارنات، واستحضرت الإحصاءات في دعم الشواهد والأدوات الخمسة المتضافرة في قراءة أفكار ابن عذاري وابن خلدون التاريخية، وحرصت على التعليل، وربطها علمياً بالأسباب ومسبباتها.

ج- الصعوبات:

واجبني أثناء إعداد هذا العمل المتواضع جملة من الصعوبات بضيق الوقت، لأن طبيعة هذه الدراسة هي تطبيقية تتطلب القراءة المتأنية والتمعن الطويل في نصوص ابن عذاري وابن خلدون حول الفتح الإسلامي لبلاد المغرب قصد الوصول الى فهم واضح لمنهجهما في الكتابة، ومن ثم التعامل مع التفسيرات الكثيرة بالتحليل والمقارنة والاستنتاج، هذه العملية ليست بالبسيطة خاصة مع افتقار الموضوع لدراسات متخصصة، وبالتالي فإن العملية تتطلب وقتا طويلا.

د- عرض الموضوع:

رشد من المادة العلمية التي جمعت تحرير الموضوع في أربعة فصول؛ استهللت البحث بمقدمة استعرضت فيها أهمية الموضوع وإشكاليته، والمنهج الذي اتبعته، والنقد الذي وجهته لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها.

وتناولت في الفصل الأول المعنون: "الكتابة التاريخية في المغازي والفتوح(نشأتها وتطورها خلال القرن 2-8هـ/8-14م)"، قدمت في المبحث الأول منه أولا "الكتابة التاريخية المشرقية في المغازي والفتوح"، عرجت فيه على نشأتها ضمن هذا النطاق، ثم تطورها على ثلاث مراحل حتى عصر ابن عذاري وابن خلدون، أما المبحث الثاني فخصصته ل "الكتابة التاريخية المغربية في المغازي والفتوح"، ضمينا تطرقت فيه لنشأتها وتطورها ضمن هذا المجال.

أما الفصل الثاني فخصصته ل "مقاربة في ظروف ومؤثرات بناء الشخصية التاريخية عند كل من ابن عذاري وابن خلدون"؛ وقد قسمت هذه المؤثرات إلى ثلاثة شملت مباحث هذا الفصل؛ أولها عصر ابن عذاري وابن خلدون، ثم نشأتها العلمية، وأخيرا مفهوم التاريخ عند ابن عذاري وابن خلدون.

بينما تطرقت في الفصل الثالث إلى "مصادر ابن عذاري وابن خلدون في كتابة تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب" متناولا هذه المقارنة في أربع خطوات؛ أولها " موقع تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ضمن كتابي "البيان المغرب" و "كتاب العبر"، ثم أحصيت "مصادرها في كتابة تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب"، وفي خطوة ثالثة وأخيرة تطرقت إلى "مقارنة في مصادرها(التنوع والتوظيف)".

وشكل الفصل الرابع والأخير المعنون "منهج ابن عذاري وابن خلدون في كتابة تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب"، أهم الأركان الأساسية في هذه الدراسة، فهو بمثابة الجانب التطبيقي للبحث، إذ

تناول الهيكلية العامة التي استند إليها ابن عذاري وابن خلدون في تعاملهما مع أحداث الفتح الإسلامي للمغرب، وضمنت هذا الفصل أربعة مباحث، أولها "طريقتهما في التوثيق" وثانيها "أسلوبهما في تنظيم المادة"، أما الثالث فقد كان "الضبط والإحصاء"، والمبحث الرابع جعلته "أسلوبهما في كتابة تاريخ الفتح".

وأخيرا بعد هذه الفصول الأربعة خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة.

هـ- تحليل ونقد المصادر والمراجع:

• المصادر:

إن طبيعة موضوع الدراسة لا تستدعي بالضرورة استحضار الكثير من المصادر، فقد كان اعتمادي الكبير على مصدرين أساسيين وهما محور الدراسة؛ كتاب ابن عذاري "البيان المغرب" وكتاب ابن خلدون "العبر".

- "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لعبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ/1405م): يعتبر أهم أثر لابن خلدون والذي جرت العادة اختصار اسمه في كلمتي "كتاب العبر"، قسمه ابن خلدون فجعله مقدمة وثلاثة كتب، ويعد هذا الكتاب ولا شك من أهم مصنفات التاريخ الإسلامي بوجه عام، والتاريخ المغربي بوجه خاص، برز فيه ابن خلدون مؤرخا مبدعا بحق، وأبدى فيه فهما للتاريخ بمعناه الحقيقي والشامل، وتجدر الإشارة إلى أن مجال استفادة البحث منه كانت كبيرة بكل أجزاءه، وربما كان من الغريب أن يقال إن كتاب ابن خلدون لم يكن ذا أهمية خاصة في دراسة الفتح الإسلامي إذ المعروف أن العبر هو المرجع الأوفى الذي لا يستغنى عن النظر فيه من يبحث شيئا من أخبار المغرب، لذلك فقد كان اعتمادي عليه بشكل كبير خاصة في الفصلين الأخيرين نظرا لأنه موضوع الدراسة، وبوابة الولوج إلى فكر ومنهج ابن خلدون في التاريخ.

- كتاب المقدمة: تعد مصدرا أساسيا لهذه الدراسة، وذات أهمية كبيرة لما حوته من نظريات في ميادين علمية شتى، إذ قدم فيها ابن خلدون خلاصة جهده الفكري والعلمي، وقد استثمرتها في التعرف على الجانب

النظري لمنهج ابن خلدون في الكتابة التاريخية، ومفهومه للتاريخ مع البحث عن القرائن والشواهد في كتابه تاريخ العبر، وبالتالي مقارنة الجانب النظري بالتطبيقي في منهج ابن خلدون .

- "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ابن عذاري المراكشي" (حيا 712هـ/1312م): هو من أشمل الكتب التاريخية التي وصلتنا حول المغرب والأندلس، وقد ألفه ابن عذاري المراكشي في وقت متأخر أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن للهجرة، قسمه إلى ثلاثة أجزاء : الجزء الأول تاريخ شمال إفريقيا منذ الفتح العربي الإسلامي حتى ظهور المرابطين والموحدين، وبحث في الجزء الثاني أخبار الأندلس مبتدئا بالفتح وعصر الولاة وغيرهم ممن حكم الأندلس إلى حين دخول المرابطين، وعالج في الجزء الثالث أخبار الدولة المرابطة اللتونية منذ بدايتها في المغرب حتى توسعها في الأندلس إلى حين ابتداء الدولة الموحدية مستعرضا تاريخها إلى حين سقوطها هي الأخرى واستيلاء المرينيين على عاصمتها عام 668هـ.

وتكمن أهميته في أني اعتمدت عليه في الكثير من الاقتباسات التي فقدت أصولها ولم يعد بإمكان الباحثين مراجعتها إلا من خلال كتابه المذكور أعلاه، إن الكشف عن هذه الموارد ودراستها ومقارنتها مع بعضها البعض يعد تحقيقا شاملا لمصادر التاريخ العربي في المغرب والأندلس، ويمكن الرجوع إليه للتعرف على شتى المدارس التاريخية التي ظهرت في المغرب وأساليب الكتابة والتدوين والرواية، وقد كان اعتمادي عليه كبيرا بالنظر إلى أنه محور الدراسة .

- كتاب "الأعلام" لخير الدين الزركلي: وهو كتاب من خيرة ما ألف من كتب التراجم، يترجم للأعلام من العلماء، استفدت منه بكثرة في الترجمة للأعلام الذين اعتمد عليهم ابن عذاري وابن خلدون على كتبهم، وتعتبر ترجماته في الغالب مختصرة ووافية.

- "معجم الأدباء" ياقوت الحموي (ت 626هـ/1228م): ويعتبر من أبرز كتب التراجم إذ يحتوي على زهاء ثمانمائة ترجمة موزعة على نحو 33 طبقة، بما فيهم المؤرخين، وقد اعتمدت عليه في التعريف بالأعلام الذين عاشوا حقبة العصر الوسيط.

● مستندات مرجعية:

- "دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي" للباحث الجزائري علاوة عمارة وهو كتاب يجمع عدة مقالات في الكتابة التاريخية اعتمدت عليه في موضوعات الكتابة التاريخية في الغرب

الإسلامي، والخلدونية الوسط التاريخي والمرجعية الفكرية، وهو يقدم معطيات جديدة بنصرة مميزة للموروث التاريخي ويعطي قراءة جديدة، خدمتني في رصد تطور الكتابة في المغازي والفتوح، وفهم تكوين ابن خلدون العلمي والنطاق الجغرافي الذي تبحر فيه وخصائصه الفكرية وضمته بالخصوص في الفصل التمهيدي والفصل الأول.

- "الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي" للمؤرخ المصري محمود إسماعيل، وهو كتاب يقدم دراسة اسطوغرافية عن نشأة وتطور الفكر التاريخي المغربي والأندلسي في العصر الوسيط، ويرصد تطور الكتابة التاريخية في هذين النطاقين، وقد استفدت منه بشكل كبير في رصد نشأة التدوين التاريخي في المشرق والمغرب الإسلاميين وتطورها، في الفصل الأول من البحث.

- "ابن خلدون مبدعا" للباحثة المصرية سامية حسن الساعاتي، فيه ركزت الباحثة على كتاب "المقدمة" وما حواه من نظريات وإبداع في مختلف العلوم، وقد كانت استفادتي منه بشكل كبير في التعرف على مفهوم ابن خلدون للتاريخ، وإبداعه المنهجي التاريخي وقواعد كتابته للتاريخ.

- "فتح العرب للمغرب"، حسين مؤنس : خصصه لموضوع الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب، وهو يقدم صورة شاملة عن أحداث هذا الفتح ويصوره أحسن تصوير، كما أنه يقدم تحليلا مميذا لأهم مصادره عن الفتح الإسلامي، وقد استفدت منه كثيرا في التعرف على أهم المصادر حول موضوع الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، بالإضافة إلى نقدها.

الفصل الأول:

الكتابة التاريخية في المغازي والفتوح

(نشأتها وتطورها خلال القرن 2-8هـ/8-14م)

1- الكتابة التاريخية المشرقية في المغازي والفتوح

- أ- نشأتها خلال القرن الثاني للهجرة
- ب- تطورها بعد القرن الثالث إلى الثامن للهجرة

2- الكتابة التاريخية المغربية في المغازي والفتوح

- أ- نشأتها خلال القرن الثاني للهجرة
- ب- تطورها بعد القرن الثالث إلى الثامن للهجرة

الكتابة التاريخية في المغازي والفتوح (نشأتها وتطورها خلال القرن 2-8هـ/814م)

يشير أغلب المؤرخين إلى إن البداية الأولى للتدوين التاريخي في المغازي والفتوح كانت في القرن الثاني للهجرة /القرن الثامن للميلاد، استنادا إلى ما عثر عليه من المصادر التاريخية، غير أنه تعددت الآراء بين مقرر بتأخر الكتابة التاريخية المغربية في المغازي والفتوح عن مواكبة التدوين التاريخي المشرقي⁽¹⁾ في نفس السياق، وبين من لا يعتقد في صحة ذلك مشيدا بتزامن التدوين التاريخي المشرقي والمغربي معا حول الفتوح .⁽²⁾

1- الكتابة التاريخية المشرقية في المغازي والفتوح:

أ- نشأتها خلال القرن الثاني للهجرة:

بدأت الكتابة في المغازي والفتوح في المشرق لما جاء الإسلام وقامت الدولة العربية الإسلامية، فكان ذلك بدأ اشتغال العرب في الإسلام بالتأريخ⁽³⁾، ومن الثابت أنهم قبل الإسلام لم يدونوا تاريخهم وأن الذي ساعدهم على بقاء أحداثه حية في أذهانهم هي ملكة الحفظ التي تميزوا بها ومن خلالها تناقلوا أخبارهم عن طريق الرواية الشفهية نثرا أو شعرا من جيل إلى جيل⁽⁴⁾، على أن هذا لم يمنع من أن تكون لدى العرب في جاهليتهم مدونات، لكنها لم تكن بهدف التأليف التاريخي، ويحدد الذهبي(ت748هـ) في نص هام يرد في كتابه تذكرة الحفاظ وينقله عنه ابن تغري بردي (ت874هـ) السنة التي بدا فيها تدوين العلوم العربية في الإسلام من بينها المغازي⁽⁵⁾ بأنها سنة 143هـ.⁽⁶⁾

وعند البحث في أقدم ما كتب في التاريخ الإسلامي، سنجد كتب المغازي والسيرة من أقدم الكتب التاريخية التي تجمع بين التاريخ والحديث، وتمثل أول شكل للكتابة التاريخية عند العرب ولعل أقدمها "كتاب

(1) علاوة عمارة: دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، الجزائر- بن عكنون: ديوان المطبوعات الجامعية، 2008، ص 152-153

(2) محمود إسماعيل: الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، د.ت، ص 20.

(3) يسري عبد الغني عبد الله: "إطلالة على تطور الكتابة التاريخية عند المسلمين"، دورية كان التاريخية، ع19/ مارس 2013، ص 112.

(4) عبد المنعم ماجد: مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1987م، ص 32.

(5) المغازي جمع مغزى ومغزاة وكلاهما معناه موضع الغزو أو الغزو نفسه، وسميت الدراسات الأولى لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم باسم المغازي، وتعنى المغازي لغويا غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وحروبه، لكنها في الحقيقة تناولت الحديث عن فترة الرسالة بكاملها من هجرة وسيرة وغزوات. أنظر: هوروفتس: المغازي الأولى ومؤلفوها، تر: حسين نصار، القاهرة: مطبعة الحلبي، 1949، ص ص 2-7.

(6) مصطفى شاكرك: التاريخ العربي والمؤرخون - دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام -، ط3، بيروت: دار العلم للملايين، 1983، ج1، ص92.

المغازي" لعروة بن الزبير (ت92هـ/710م)⁽¹⁾، الذي وصلتنا بعض رواياته في كتب كل من ابن إسحاق (ت151هـ/768م)، والواقدي (ت207هـ/822م)، والطبري (ت310هـ)⁽²⁾، ويبدو أنه كان فقيها ومحدثا مشهورا⁽³⁾، وكذلك كتاب أبان بن عثمان بن عفان (ت123هـ/740م، أحد أبرز رواد مدرسة التاريخ في المدينة⁽⁴⁾ لكننا لم نجد من بين المؤرخين من نقل أو روى عنه باستثناء إشارة يعقوبي (ت284هـ/897م) إليه في تاريخه بينما نجد من يروي عنه في كتب الحديث، ويمثل مرحلة انتقال بين دراسة الحديث ودراسة المغازي⁽⁵⁾.

وما يلاحظ في هذا الصدد أن التأريخ للفتوح نشأ بداية الأمر ضمن دائرة التأريخ للسيرة النبوية، إذ كان المؤرخون يتناولون تاريخ الفتوحات الإسلامية كجزء مكمل لها، كما كانت دراسة المغازي في المدينة ضمن دائرة دراسة الحديث، حيث أن الكتابة التاريخية عند المسلمين ارتبطت بالعلوم الدينية ارتباطا وثيقا، فالمؤرخون الأولون ألفوا في السيرة النبوية وفي المغازي وفي النسب وفي التراجم لرجال الفقه والحديث⁽⁶⁾، ومع تقدم العهد الإسلامي ظهرت الدوافع لمعرفة تاريخ الفتوحات الإسلامية بصورة أوسع وأعمق فبدأ الاهتمام بهذا الفرع يأخذ مجراه، والملاحظ أن أغلب رواد دراسة المغازي كانوا محدثين، مما يفسر أهمية الإسناد أو سلسلة الرواة في تقدير قيمة المغازي، وهذا يعني ربط قيمة الحديث أو الرواية بمنزلة المحدثين أو الرواة، وبالتالي ولد هذا الاتجاه في فترة مبكرة نظرة نقادة إلى الرواة و مصادر المعلومات وكون أساسا متينا للدراسة التاريخية.⁽⁷⁾

وجدير بالذكر أن دراسات هذا العصر بما فيها المغازي كانت أعمالا جماعية، حيث كانت فعاليات الأفراد جزءا من مدرسة فكان كل واحد من حملة العلم يضيف دراساته وبحوثه إلى دراسات شيوخه وبذلك

(1) ولد حوالي سنة 32 للهجرة، محدث وأحد فقهاء المدينة السبعة وكان في الوقت نفسه أول من ألف في المغازي، أخذ عنه ابن إسحاق والواقدي والطبري وغيرهم كابن سيد الناس وابن كثير، يكشف ان روايات الرجل كانت صريحة بسيطة تخلو من المبالغة وتستمد معلوماتها من مصادر أولية هامة وقد تجاوز عروة في الروايات التاريخية فترة الرسالة إلى عهد ابي بكر ومن بعده حتى واقعة الجمل. أنظر: مصطفى شاك: المرجع السابق، ج1، ص152.

(2) فريد بن سليمان: مدخل إلى دراسة التاريخ، تونس: مركز النشر الجامعي، 2000م، ص95.

(3) عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص25.

(4) مدرسة المدينة (مدرسة المغازي) تعتبر أول مدرسة للتاريخ، ترتبط في نشأتها ووجهتها بجهود اثنين من الفقهاء المحدثين هما عروة بن الزبير وتلميذه أبي بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري إذ أتم وضعها على أسس راسخة ورسموا وجهة الدراسة التاريخية فيها، وقد تميزت هذه المدرسة التاريخية بالمعارف التاريخية الإسلامية وتحديدا في الحديث والمغازي والفقه. عبد العزيز الدوري: نشأة علم التاريخ عند العرب، ص71. ومحمد أحمد ترحيني: المؤرخون والتاريخ عند العرب، بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، د.ت، ص41.

(5) محمد أحمد ترحيني: المرجع السابق، ص43.

(6) قاسم يزبك: التاريخ ومنهج البحث التاريخي، ط1، بيروت: دار الفكر اللبناني، 1990، ص11.

(7) عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، أبو ظبي: مركز زايد للتراث والتاريخ، 2000م، ص23.

يحفظ علم المدرسة التي ينتمي إليها ويضيف ما وصل إليه، وجاء في الجيل التالي ثلاثة من العلماء قاموا بتنمية دراسة المغازي وتوسيعها وهم عبد الله بن أبي بكر بن حزم (ت130هـ/747م-)، وعاصم بن عمر بن قتادة (ت120هـ/737م)، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت124هـ/741م)⁽¹⁾، وهذا الأخير أبرزهم إذ قام بخدمة أخرى هامة للدراسة التاريخية بأن أدخل شيئاً جديداً هو الإسناد الجمعي حيث يدمج عدة روايات في خبر متسلسل بالإضافة إلى تقديم رواياته بصورة منظمة. (2)

ب- تطورها بعد القرن الثالث إلى الثامن للهجرة:

منذ أواخر القرن الثالث هجري / التاسع ميلادي تطورت الكتابة التاريخية في المغازي والفتوح تطورا ملحوظا على يد طبقة من المؤرخين أطلق عليهم "الإخباريون" الذين تناولوا إلى جانب موضوعات السيرة والمغازي "تاريخ الفتوح"، غير أن انتشار التدوين التاريخي وتمكن التاريخ من النفوس جعل الرواية المسندة غير كافية في نقل الحقيقة التاريخية إذ لم تحمل من الحقيقة إلا صداها دون أن تحيط بظروفها، ومن هنا تحول المؤرخ الإسلامي من مجرد إخباري غرضه استيعاب الأخبار والمحافظة على كيفية اتصالها حسب تسلسل روايتها إلى البحث عن الخبر في ذاته وتحري الحقيقة وهكذا وجد تطور جديد في كتابة التاريخ حين تخلص هذا الأخير من طريقة الحديث إلى مجال أوسع مستقل ازدهرت فيه مناهجه، فأفرد له المؤرخون كتبا خاصة به وأقبلوا على الكتابة فيه والتخصص في موضوعاته حتى أصبحت له مدرسة بلغت مرحلة النضج على يد أحمد بن يحيى البلاذري (ت279هـ/892م) في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة. (3)

إن الذي ترتب كنتيجة عن كل ما ذكرنا سابقا ظهور الكتب التي أفردت للتأريخ في الفتوحات، والتي لم يصلنا معظمها إلا عن طريق المقتطفات التي حفظتها لنا مصادر متأخرة، ومن أقدم كتب الفتوح المشرقية التي وصلتنا نذكر كتاب "فتوح المغرب والأندلس" للإخباري المصري ابن عبد الحكم (ت257هـ/870م)،

(1) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري تتوافر الروايات على أنه توفي سنة 124هـ/742م، وهو مكّي ينسب إلى بني زهرة ومعه انتشر التدوين بوضوح حيث وضع الأسس الراسخة لمدرسة المدينة، وقد درس على روايات المحدثين وكانت رواياتهم المصدر الأول لمغازيه، أما خطته في المغازي فقد كانت تبدأ ببعض المواد المتصلة بحياة الرسول قبل بدء الرسالة إلى عهد الرسالة بتناول الهجرة والغزوات وقد اعتمد على الإسناد في التحقق من رواياته. أنظر: محمد احمد الترحيني: المرجع السابق، ص 48-49.

(2) عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 26-28.

(3) عبد الغني عبد الله: معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر هجري، ط1، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، 1991، ص12.

و"كتاب فتوح البلدان" لأحمد بن يحيى البلاذري (ت 279هـ/892م)⁽¹⁾ ، الذي اهتم فيه بذكر بعض الأحداث المتعلقة بفتح المغرب، إضافة إلى إشارات مهمة لبعض حملات فتح المغرب في كتب كل من الواقدي (ت 207هـ/822م)⁽²⁾ الذي يرجع له الفضل في جمع أخبار الفتوح، وابن أعثم الكوفي (ت 314هـ/926م).⁽³⁾

أما مع بداية القرن السابع للهجرة فقد تبدل مفهوم التاريخ ومنهجه، فعبد الرحمن ابن خلدون (ت 808هـ/1332م) الذي يعتبر مؤسساً لعلم التاريخ الحضاري يهاجم دون هوادة المؤرخين الأوائل مثل ابن إسحاق (ت 152هـ/729م)⁽⁴⁾، والطبري (ت 310هـ/923م)، لاعتمادهم على مجرد نقل ما رأوه أو سمعوه وعدم تأمل الحقيقة في ذاتها ومناقشتها وإعطائها عللاً، يقول ابن خلدون في هذه الحيشة: "وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم على مجرد النقل غثاً أو سميناً، لم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار، فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط".⁽⁵⁾

وتعد هذه المرحلة الأخيرة مرحلة النضج والاكتمال في تدوين التاريخ الإسلامي عامة وتاريخ الفتوح خاصة، ففيها يلحظ الباحث زيادة في المادة التاريخية، واتساع أفق المؤرخين؛ فقد ارتحلوا لجمع المعلومات من الأمصار واختاروا مادتهم من المصادر بعد النقد والتحليل ونظموها في كتب طبقوا عليها تارة الأسلوب الحولي وتارة أسلوب الموضوعات؛ وظهر ما يسمى بالتواريخ المحلية.⁽⁶⁾

(1) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري أبو الحسن (ت 279هـ/892م)، من أهل بغداد وهو خاتمة مؤرخي الفتح، كان شاعراً وكاتباً ومترجماً ينقل عن الفارسية إلى العربية، ويعتبر كتابه فتوح البلدان من أشهر كتبه الذي يظهر أنه من كتاب أطول منه كان قد أخذ في تأليفه وسماه كتاب البلدان الكبيرة ولم يتممه فاكتمى بهذا المختصر الذي تضمن أخبار الفتوح الإسلامية. أنظر: أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموي (ت 626هـ/1228م): معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ط 1، بيروت-لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1993، ج 2، ص 530.

(2) هو أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي، كان من أهل المدينة انتقل إلى بغداد وولي القضاء بها للرشيد بعسكر المهدي، عالماً بالمغازي والفتوح، نذكر من أشهر كتبه حول المغازي والفتوح: كتاب التاريخ والمغازي والمبعث، وكتاب فتوح الشام، وكتاب فتوح العراق. أنظر أبو الفرج محمد بن أبي إسحاق ابن النديم (ت 380هـ/990م): الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، د.ن، 1971، ص 111.

(3) علاوة عمارة: المرجع السابق، ص 150.

(4) هو أبو عبد الله ابن إسحاق يعتبر أبرز مؤرخي السيرة وأحد أعمدة مدرسة المدينة في التاريخ له من الكتب: كتاب الخلفاء رواه عنه الأموي، كتاب السيرة والمبتدأ والمغازي، رواه عنه إبراهيم بن سعد والنفيلي، ، قال فيه ابن شهاب الزهري من أراد المغازي فعليه بابن إسحاق، توفي سنة 50 ومائة. أنظر ابن النديم، المصدر السابق، ص 105. و محمد احمد ترحيني : المرجع السابق، ص 51.

(5) عبد الرحمن ابن خلدون (ت 808هـ/1406م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: خليل شحاتة، بيروت: دار الفكر، 2001م، ج 1، ص 13.

(6) يسري عبد الغني : "إطالة على تطور الكتابة التاريخية..."، ص 113.

لقد كانت أبرز نقلة منهجية في الكتابة خلال هذا العصر تطور أسلوب التوثيق للأخبار من العنينة إلى إسناد الكتب، وليقارن القارئ مثلاً "سيرة ابن هشام" (ت213هـ/828م) مع كتاب "العبر" لابن خلدون (ت1406/808م) فيما يخص الإسناد ليلحظ الفرق، ومع ذلك فإن المؤرخين المتأخرين لم يكونوا يستطيعوا كتابة التاريخ دون أن يذكروا المصادر التي استقوا منها معلوماتهم وبدلاً من قولهم فلان وفلان، ذكروا الكتب التي أخذوا منها حقائقهم وظهر بدل العنينة (عن فلان، عن فلان، عن فلان) ما يعرف بأسانيد الكتب، وهذه العنينة أصبحت التهميش في وقتنا الحاضر، مما يدل على فضل المسلمين ولا شك في وضع أسس هذا العلم والإسهام في تطوره مثل ما وضعوا أسس غيره من العلوم. (1)

بالإضافة إلى ما سبق وذكرناه فإنه حدث تطور على مستوى المادة التاريخية التي طرأت عليها الكثرة والوفرة، زيادة على تحول في منهج تدوين المادة التاريخية التي سقط فيها الإسناد تدوينا وقيمة تاريخية، وبتراجعها انقرضت أهم صلة تصل التاريخ بعلم الحديث، ويعتبر الطبري (2) آخر ممثل للطريقة الحديثية بينما المسعودي الذي أتى بعده مباشرة ابرز ممثل للطريقة اللاسندية، أما مع المؤرخين المتأخرين بداية القرن السابع للهجرة فقد تبدل مفهومهم للتاريخ وتطورت مناهجه، وتوسعت مفاهيمه، وتعددت مجالاته، وحتى احتوى علوماً أخرى مساعدة، وهذا يظهر جلياً مع المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون الذي أعطى التاريخ نفساً جديداً وضممنه علوماً أخرى ساهمت في بناء هوية جديدة له.

(1) يسري عبد الغني: معجم المؤرخين المسلمين، ص.ص. 13-14.

(2) نلاحظ أن الطبري لم يهتم بتاريخ فتح المغرب والأندلس وتطورات الأحداث فيهما، رغم أنه كان بالقرب من بلاد المغرب جغرافياً وأحداثاً عندما زار مصر، على اعتبار أن مصر لبعض الأوقات كانت تعتبر قاعدة ولاية مصر والمغرب، وقد اعتمد في هذا الصدد - الطبري - على روايات مبعثرة لأحداث المغرب، والسبب يعود كونه اعتمد كلية على الواقدي. انظر: إسماعيل سامعي: تاريخ المغرب والأندلس - مستخرج من تاريخ الأمم والملوك، قسنطينة: منشورات جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 1998م، ص 17.

2- الكتابة التاريخية المغربية في المغازي والفتوح :

أ- نشأتها خلال القرن الثاني للهجرة:

ترجع نشأة التدوين التاريخي المغربي في المغازي والفتوح إلى نهاية القرن (2هـ/8م) ، إذ لا تعطينا المصادر التاريخية عناوين كتب مغربية متقدمة في مجال المغازي، ولهذا يرجع أول كتاب مغربي في هذا المجال إلى نهاية القرن الثاني الهجري⁽¹⁾، وهو "مغازي إفريقية" لعيسى بن محمد بن سليمان بن أبي المهاجر دينار⁽²⁾ (ت في نهاية القرن 2هـ/8م)، ونشير بالذكر هنا أنّ هذا المؤلف - مغازي إفريقية - قد اعتمد عليه المؤرخ المغربي ابن عذاري المراكشي (كان حيا 712هـ) في كتابه "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، واقتبس منه روايتين حول فتح الأندلس تخص الأولى سبب دخول طارق الأندلس والثانية في قتاله أهلها.⁽³⁾

وفي نفس الفترة نجد مساهمة تاريخية لقاضي إفريقية الشهير عبد الرحمن بن زياد (ت161هـ/778م)، من خلال كتابه في "فتوح إفريقية"، مما يبرز جليا تأثير الفنون التاريخية ببلاد المشرق في إرساء قواعد الفكر التاريخي ببلاد المغرب والذي تميز بالاهتمام بالفتوح.⁽⁴⁾

يبدو أن الكتابة التاريخية المغربية في المغازي استندت في مصادرها بادئ الأمر على الرواية الشفوية في الحقبة الأولى للفتح، والتي يمكن الوقوف عليها بالوقوف على روايات أولئك الصحابة والتابعين الوافدين على المغرب إبان الفتوح، وعن هؤلاء كان تسلسل السند فتلقاه منهم ناشئة العرب المولدون و أبناء الأفارقة و البربر ممن دخلوا في الإسلام⁽⁵⁾، وتشير كتب التاريخ المغربي اللاحقة إلى وجود كتب مغربية متقدمة أرخت لأصول البربر وأنسابهم تكون قد احتوت على نصوص أو إشارات تخص الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، فعلى سبيل

(1) علاوة عمارة: المرجع السابق، ص152.

(2) هو حفيد أبي المهاجر دينار فاتح بلاد المغرب الأوسط، كتب في فتوح إفريقية وصار مؤلفه معتمد المؤرخين في ذلك الى غاية القرن الرابع للهجرة، فقد استفاد منه أبي العرب تميم (ت333هـ)، لما اشتهر عنه كمحدث موثوق استقى مادة كتابه من أفواه أشياخ عرب إفريقية. أنظر: أبي بكر المالكي: رياض النفوس، تح: بشير البكوش و محمد العروسي المطوي، ط2، بيروت-لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1994، ج1، ص13م؛ ومحمود إسماعيل: المرجع السابق، ص20.

(3) أحمد بن عذاري المراكشي (حي 712هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ترجمة: ج س كولان و ليفي بروفنسال، ط3، بيروت: منشورات دار الثقافة، 1983، ج2، ص.ص 6-7.

(4) علاوة عمارة: المرجع السابق، ص152.

(5) عبد الوهاب حسن حسني: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، ط2، تونس: منشورات مكتبة المنار، 1982، ج3، ص35.

المثال يشير ابن عذاري المراكشي إلى أنه اطلع على كتاب في "أنساب البربر" لأبي عبيد الله محمد بن أبي المجد المغيلي كان قد ألفه في زمن متقدم، كما أشار مؤلف مجهول إلى أنه عندما صنف كتابه "مفاخر البربر" الذي عرض فيه أنساب البربر وملوكهم استفاد من كتابات مغربية سابقة. (1)

ويعتبر أهل المغرب الأقصى السابقين بالغرب الإسلامي إلى الكتابة التاريخية خاصة مادة الأنساب التي أشرنا سابقا إلى احتوائها على نصوص تخص الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وعلى ما يبدو أن أول ما دون من التاريخ المغربي هو الأنساب ذلك ما يحتفظ بقصته مؤلف كتاب الأنساب لصالح بن عبد الحليم، إذ ينقل المؤلف من كتاب قديم في الأنساب وضعه مؤلف مجهول: "...لما فتح طارق بن زياد جزيرة الأندلس وسكن فيها مع إخوانه البرابرة فسكنوا فيها وتزوجوا، فدخل عليهم علماء التابعين فقالوا لهم: من أنتم؟، قالوا نحن قوم من البرابرة جئنا برسوم الجهاد ونحن أجناس مختلفة، فقالوا لهم: ظلمتم أولادكم الذين ولدتم هاهنا، يكبرون ولا يعرفون أنسابهم، فبعثوا جملة من فقهاءهم حتى وصلوا إفريقية، فاجتمعوا مع ذي ألسن منهم فكتبوا لهم ذلك الكتاب". (2)

وهناك حكم شائع هو أن الكتابة التاريخية ظهرت متأخرة في المغرب عنها في المشرق على اعتبار أن التبرير الذي قدمه أصحاب هذا الحكم يبدو منطقيا من الناحية الشكلية وهو أن المغرب فتح متأخرا وأن الفتح العربي للمغرب استمر قرابة سبعين عاما أو ما ينيف على ذلك وهذا آخر ظهور ما يسمى مدرسة تاريخية في المغرب، كما يرجعون سبب هذا التأخر إلى طبيعة مجتمعات المغرب المشكّلة في غالبيتها من مجتمعات قبلية وريفية مناهضة للحكومات المركزية التي كانت عائقاً في طريق إرساء قواعد حضارة متميزة بإنتاج ثقافي وتاريخي كما هو الحال ببلاد المشرق (3)، مما أدى إلى تميز التواريخ المغربية في هذه الفترة بأنها على الطراز المشرقي ولم يظهر بعد ما يسمى بالتواريخ المحلية. (4)

(1) محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص.ص، 19-20.

(2) محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب - من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث -، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1983، ج3، ص18.

(3) علاوة عمارة: المرجع السابق، ص152.

(4) التواريخ المحلية هي وليدة المشاعر القومية والارتباطات الإقليمية التي ارتفعت حدتها في شتى أنحاء العالم الإسلامي، ولدت عند بعض المؤرخين اعتزازا بمصرهم أو إقليمهم أو بمكان مولدهم، وهذا ما دفعهم إلى الكتابة عن هذا المكان أو المصر أو الإقليم، وقد صنفت ضمن ما يسمى التواريخ المحلية رغم أنها على قلتها لم تخرج عن اعتباراتها الدينية أو الفقهية. أنظر: محمد أحمد الترحيني: المرجع السابق، ص152.

لكن هناك من يخالفون الحكم القائل بأسبعية التدوين التاريخي المشرقي على المغربي ولا يعتقدون في صحة ذلك بل يشيدون بتزامنهما، من أبرز أنصار هذا الرأي محمود إسماعيل، إذ يستند في الرد على حجج الطرف الآخر إلى عدة أدلة منها: أن المرحلة المتأخرة التي استغرقها فتح المغرب لم تكن عموماً مرحلة إنجاز معرفي فهذا التأخر من حيث تاريخ الفتح لم يؤثر لأن الشرق لم يكن قد كتب أو خلف شيئاً، ولم يكن هناك شيء اسمه علم التاريخ إطلاقاً، بل كانت اغلب الكتابات عبارة عن روايات من قبل المشتغلين بكتابة الأيام أو قصص العرب القديمة ثم جاء بعد ذلك دور جمع الروايات. (1)

وبعد الكتابات الأولى حول بلاد المغرب من طرف إخباريي المشرق خلال العصر العباسي الأول تراجع الاهتمام المشرقي بما دار في الغرب الإسلامي نتيجة تفكك وحدة دار الإسلام وضمحلل قوة الخلافة، هذا أدى إلى قيام دويلات مستقلة لعبت دوراً في نشأة الفكر التاريخي ببلاد المغرب وظهر ما يسمى بالتواريخ المحلية التي كانت أبرز ما ميز هذه الفترة (2)، لقد عمل مؤرخوا هذه الدويلات المستقلة التي ظهرت في المغرب على كتابة تواريخ محلية ساهمت في تكوين مدرسة تاريخية مغربية أصيلة، لعل أبرز مثال لها المدرسة التاريخية المغربية التي عمل على تأسيسها مؤرخو الدولة الإدريسية بحيث لا نعثر في أقدم ما وصلنا من نصوصها على مؤثرات مشرقية واضحة. (3)

ومن الملاحظ أن مؤرخي السنة قطعوا مع الماضي فلم يعرضوا قط لتاريخ المغرب قبل الإسلام، وانصب جل اهتمامهم على تاريخها الإسلامي في قرونه الأولى ما يخص المغازي والفتوحات، مما يشي بأن الإسلام أصبح القوة الضاربة التي صاغت العقلية المغربية، وبديهي أن ينعكس ذلك على مخيال مؤرخي المغرب خصوصاً مؤرخي السنة المالكية لأن جل هؤلاء المؤرخين كانوا فقهاء وبعضهم كان محدثاً متأثراً في كتاباته التاريخية بمنهج الحديث والفقهاء سواء بسواء إذ عولوا جميعاً على الإسناد شأنهم شأن المشاركة عموماً وخصوصاً. (4)

(1) محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 18-19.

(2) علاوة عمارة: المرجع السابق، ص 152.

(3) عبد السلام الجعماطي: "ما فقد من التواريخ الفاسية نحو تأصيل لنشأة التدوين التاريخي بالمغرب الأقصى"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، عن مركز جمعة التراث والثقافة بدبي، ع2010/72، ص134.

(4) محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص23.

ب- تطورها بعد القرن الثالث الى الثامن للهجرة:

مع أوائل القرن الثالث للهجرة بدأت الكتابة التاريخية المغربية تتفاقم وتزدهر إلا أن معظم ما كتب ضاع أو فقد وإن بقي بعضها الذي اعتمد عليه مؤرخون مغاربة في عصور تالية وأشاروا إليه في كتبهم⁽¹⁾، ومن هذه الكتب كتاب "مغازي افريقية" لابن الجزار أحمد بن إبراهيم بن خالد القيرواني (ت 369هـ/980م)⁽²⁾، الذي اعتمد عليه البكري حيث اقتبس منه في كتاب "المغرب" وقد ضاع هو الآخر⁽³⁾، ونشير هنا إلى أبرز مؤرخي هذه الفترة الرقيق القيرواني: إبراهيم بن أبي القاسم (ت 417هـ/1026م)⁽⁴⁾، من خلال كتابه "تاريخ افريقية والمغرب" الذي ترد فيه معلومات عن فتح المغرب الأقصى وبداية الدولة الإدريسية.⁽⁵⁾

إن أبرز ما ميز مؤرخي المغرب الإسلامي هذه الفترة بداية من القرن الثالث للهجرة في المنهج والرؤية أنهم عولوا على المشاهدة والأخذ من وثائق العصر، واستند الجميع إلى مراجع متنوعة مشرقية ومغربية وأندلسية بعد تحقيقها مع التعويل على الإسناد أحيانا، وعند مؤرخي الطبقات نلحظ مراعاة الشكل التاريخي دون إتباع قاعدة الكتابة الحولية، كما اتسم بعض المؤرخين بنزعة عقلانية منطقية ونادرا ما أوردوا الخرافات والأساطير، عموما نلاحظ أن هذا العصر خلا من الكتابات عن التاريخ العالمي⁽⁶⁾ أو حتى عن تاريخ الشرق الإسلامي وان وردت إشارات أحيانا حسب مقتضى الحال، كما لم يكتب مؤرخ مغربي عن الأندلس باستثناء محمد بن الحارث الخشني (ت 361هـ) الذي هاجر من المغرب إلى الأندلس فصف عن محدثيها وفقهائها.⁽⁷⁾

(1) يتضح للباحث في تاريخ المغرب السياسي أن الدول المتعاقبة على حكم المغرب في القرون الأولى قامت على أساس إيديولوجي مذهبي، ومن ثم كان مؤرخوها متمذهبين بمذاهبها، الأمر الذي عرض مؤلفاتهم للضياع والاندثار باستثناء القليل الذي كان مستورا فنجنا من المصادر، وهذا القليل الذي نجا يثبت أن حركة التدوين التاريخي في المغرب كانت معاصرة لنظيرتها في المشرق. أنصر محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 19.

(2) أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد أبو جعفر القيرواني، ابن الجزار، طبيب مؤرخ من أهل القيروان له زاد المسافر وقوت الحاضر في الطب، والتعريف بصحيح التاريخ في عشرة مجلدات، كتبه جامعة لتوالييف الأوائل. أنظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص 187؛ وخير الدين الزركلي: الأعلام، ص 85.

(3) محمد المنوني: المرجع السابق، ص 18

(4) إبراهيم بن القاسم الكاتب: يعرف بالرقيق القيرواني، مؤرخ أديب من أهل القيروان شغل كتابة الحضرة في الدولة الصنهاجية، واستمر فيها زهاء نصف قرن، قال عنه ابن خلدون في مقدمته أنه مؤرخ افريقية والدول التي كانت بالقيروان ولم يأت من بعده إلا مقلد، ونعته ياقوت في معجم الأدباء بالكاتب وأورد أسماء كتبه أهمها تاريخ افريقية والمغرب. أنظر خير الدين الزركلي: الأعلام، ص 57.

(5) محمد المنوني: المرجع السابق، ص 21.

(6) ظهرت هذه التواريخ في القرن الثاني للهجرة ويعتبر كتاب الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري من بواكير كتب التواريخ العلمية، ثم تاريخ يعقوبي وتاريخ الرسل والملوك للطبري وهي تعبر عن النظرة العالمية للتاريخ. أنظر: محمد أحمد ترحيني: المرجع السابق، ص 146-148.

(7) محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 62-63.

ويعتبر ابن شداد الصنهاجي أبرز مؤرخي هذه الفترة التاريخية ومن الذين كتبوا للجمهور المشرقي عن تاريخ بلادهم المغربية في كتابه "الجمع والبيان في أخبار القيروان من فيها وفي سائر بلاد المغرب من الملوك والأيام"، والذي حضى باهتمام أصحاب التواريخ المشرقية واعتمدوا عليه كلية في نقل كل ما تعلق بأخبار المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية ثورة الميورقيين، وأول من نقل عنه نجد عز الدين بن الأثير (ت630هـ/1233م) في كتابه الكامل في التاريخ، هذه العودة المشرقية للاهتمام بتاريخ المغرب من خلال كتاب ابن شداد سيكون لها الأثر في عهد الدويلات التي تفككت بتأسس الصرح الموحدية. (1)

أما مع بداية القرن السابع للهجرة/ التاسع فتمس تطورا ملحوظا في أسلوب الكتابة في الفتوح والمغازي لدى مؤرخي المغرب الإسلامي، ويبرز هذا التطور واضحا مع ابن عذاري المراكشي (حي712هـ) الذي يعتبر أبرز مؤرخي المغرب الإسلامي في الفتوح وسليل المدرسة التاريخية بمراكش والتي اختزنت بين جنباتها موروث الكتابة التاريخية للعهدين المرابطي والموحدي لما كانت حاضرة لهما، مما جعل العلماء والمؤرخين يتقاطرون عليها من أنحاء بلاد المغرب والأندلس وإفريقيا، مشكلين بذلك ما يمكن أن نطلق عليه المدرسة المراكشية في التاريخ والتي بدأت بوادها في الظهور مع دولة المرابطين وازدادت نشاطا في العهد الموحدية في سياق تشجيع الموحدين للنشاط العلمي والدفع بحركة تدوين الكتب. (2)

وقد استمرت هذه المدرسة حتى قيام المرينيين (668هـ)، خلال هذا العهد صار وعي المغاربة أكثر بمسئوليتهم في كتابة تاريخ بلادهم فظهرت الموسوعات التاريخية نذكر من أشهرها "الذيل والتكملة" لابن عبد الملك المراكشي (634هـ/703م) و"مفاخر البربر" لمؤلف مجهول، و"البيان المغرب" لأبن عذاري المراكشي (3)، هذا الأخير يصنف كتابه البيان من صنف الكتب التاريخية المحلية عن المغرب بمعناه العام المغرب والأندلس. (4)

عموما فقد تطور منهج التأريخ ليبرز نوع جديد من الكتابات ولم يبقى نمط الكتابة حول الفتوح والمغازي كما كان في قرون مضت ضمن مسيرة حركة التدوين التاريخي المغربي، كما لم تعد كتابة التأريخ تعتمد

(1) علاوة عمارة: المرجع السابق، ص165.

(2) محمد بن شريفة: مقدمة تحقيقه لكتاب "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة" لابن عبد الملك، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية 1984، ج8، ص77.

(3) عبد الكريم التواتي: "مظاهر الثقافة والفكر بعهد بني مرين"، مجلة دعوة الحق، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط، ع1985/249، ص68.

(4) عبد العزيز سالم السيد: التاريخ والمؤرخون العرب، القاهرة: مؤسسة شباب الجامعة، 2007، صص111-113.

على التأليف المعروفة بالحواليات التاريخية⁽¹⁾ فحسب، ولكنها أضحت تعتمد على مصادر مختلفة تدعى بالمصادر المساعدة التي اهتمت بالتاريخ الثقافي والاجتماعي والاقتصادي مثل كتب الرحلات وكتب التراجم وكتب البرامج وغيرها من وثائق رسمية مما رسم ملمحا جديدا للكتابة التاريخية المغربية في الفتوح.⁽²⁾

(1) هو تاريخ للأحداث سنة بعد سنة بحيث تجمع مختلف الحوادث في كل سنة تحت عناوين متعددة كأن يقال في سنة كذا أو ثم جاء في سنة كذا، أما الصلة بين مختلف الحوادث المدونة والتي تجري في سنة بعينها فتقوم بإضافة جملة " وفيها" أي في السنة نفسها. أنظر: محمد أحمد ترحيني : المرجع السابق، ص 133.

(2) أحمد عزاوي: رسائل موحدية، القنيطرة: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1995، ج2، ص5.

الفصل الثاني:

مقارنة في ظروف ومؤثرات بناء الشخصية التاريخية عند كل من ابن عذاري وابن خلدون

- 1- عصر ابن عذاري وابن خلدون
- 2- نشأتهما العلمية
- 3- مفهوم التاريخ عند ابن عذاري وابن خلدون

مقارنة في ظروف ومؤثرات بناء الشخصية التاريخية عند كل من ابن عذاري وابن خلدون:

بادئ ذي بدئ وقبل الخوض في خضم المقارنة المنهجية بين ابن عذاري المراكشي (حي 712هـ) من خلال مؤلفه الشهير "البيان المغرب في (تلخيص) أخبار الأندلس والمغرب"، وعبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ/1406)⁽¹⁾ من خلال كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، بما تضمنناه من أخبار تخص الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ارتأيت الابتداء بمقارنة بينهما من حيث المؤثرات المحيطة التي ساهمت في رسم الشخصية التاريخية لكل منهما، نظرا للدور الكبير الذي تلعبه كل من البيئة والمجتمع ومقومات العصر والنشأة العلمية في تكوين شخصية المؤرخ حيث ترمي بضالها على فكره وتوجهاته.

1- عصر ابن عذاري وابن خلدون:

إن الملاحظ في هذا الصدد هو وجود تقارب بين عصر ابن عذاري المراكشي وعصر ابن خلدون إذ أن كلاهما كان حيا في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، ومن أبرز ما ميز هذا القرن هو ثنائية على الصعيد الفكري والسياسي، حيث نعثر في ثناياه على مظاهر للترهل السياسي، وآخر للتطور الفكري⁽²⁾، تحكم في هذا الوضع جملة من العوامل، اختلف الباحثون والدارسون في تشخيصها؛ فذهب فريق الترهل إلى اعتماد مظاهر الانحطاط على مستوى حالة عدم الاستقرار الذي عانت منه الدويلات التي تعاقبت خلال هذه

(1) من أهم المصادر التي ترجمت له: تقي الدين أحمد بن علي المقرئ (ت 845هـ/1442م): درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: محمود الجليلي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1423هـ/2002م، ج2، ص386-403؛ وشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت 902هـ/1496م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط1، بيروت، دار الجليل، 1412هـ/1992م، ج4، ص145-149؛ لسان الدين ابن الخطيب (ت 776هـ/1374م): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط1، القاهرة: منشورات الشركة المصرية للطباعة والنشر، 1395هـ/1975م، ج3، ص497-516؛ وشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ/1448م): رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي محمد عمر، ط1، القاهرة: منشورات مكتبة الخانجي، 1418هـ/1998م، ص233-237؛ وأبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت 874هـ/1470م): النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، تعليق وتقديم: محمد حسن شمس الدين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1413هـ/1992م، ج13، ص112؛ والسخاوي، شمس الدين (ت 902هـ/1496م): الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق: فرانز روزنثال، ط1، بيروت: منشورات مؤسسة الرسالة، 1407هـ/1986م، ص295-296.

(2) ربما يتساءل القارئ عن سر التركيز على الظرف السياسي والثقافي العلمي بهذا العصر، نجد الجواب بالتدقيق في ما وصلنا من مؤلفات لهذا العصر، فنلاحظ أن أغلب مؤلفيها ركزوا على الوضع السياسي والثقافي أثناء وصف الحوادث أو نقل الأخبار مما يدل على الانطباع العميق لهذين الجانبين على نفسية المؤرخ حين يصف حدثا تاريخيا أو أسرة حاكمة أو دولة سائدة فإن مكونات هذا الوصف في أغلبها تركز على ما ذكرنا أو لربما هو راجع لمفهوم التاريخ في هذا العصر الذي كان ضيقا نوعا ما عما عليه الآن حيث أصبح يشمل عدة مجالات ويؤرخ بعدة علوم .

الفترة، بسبب ما كان قائما بينها من صراع حول السلطة والنفوذ؛ في حين اعتبر البعض الآخر مظاهر التطور الفكري نابع من بقايا شمس حضارة الأندلس السائرة نحو هذه الدويلات، وتشجيع سلاطينها لهذه الهجرة بحكم الاستفادة الواسعة منها.⁽¹⁾

وعندما نرجع إلى شهادات من عايشوا هذا العصر تُستخلص من إشارات مبثثة في كتبهم، منهم ابن خلدون الذي يعتبر أكبر شاهد على هذا العصر وبرز من قدم وصفا وافيا له، نقله لنا محمد عابد الجابري على لسانه قائلا: "كان كل شيء خلال القرن الثامن هجري / الرابع عشر ميلادي يشير إلى أن شمس الحضارة الإسلامية آخذة في الأفول، فلم يكن الناظر أينما توجه ببصره سواء إلى الحياة السياسية أو الاجتماعية أو الفكرية يستطيع أن يستشف أي بريق من نور أو بصيص من الأمل، هذه النظرة "العابدية" نابعة من فكر ابن خلدون نفسه الذي يشير إلى التراجع السياسي والفكري الذي عرفته دار الإسلام.⁽²⁾

لكن ينوه علاوة عمارة بأنه يجب مراجعة ما ذهب إليه محمد عابد الجابري على ضوء المعطيات المصدرية، والتي تمكننا من الذهاب عكس ذلك، فالقرن الثامن للهجرة عرف تناقضات تراوحت بين النهضة العمرانية والثورة الفكرية والأزمات الاجتماعية⁽³⁾، يعكسها حصاد هذا القرن على مستوى الكتابة والإبداع فقد تميز بأن عاش فيه فطاحل العلماء والفقهاء وفحول الشعراء والأدباء الذين انصهروا في بيئة المغرب الإسلامي ونهلوا من معينها، فأفادوا واستفادوا وتناظروا وعلموا، وكتبوا وأنتجوا إنتاجا يتميز بأصالته وجدته، ويمكن القول بأن أدب الرحلات من أهم هذه الآثار التراثية، فقد جاب عدد كبير من الرحالة المغاربة والأندلسيين بلاد المغرب الإسلامي طولا وعرضا، وتظهر ثمارها في كتابات ابن خلدون وابن عذاري التاريخيين.⁽⁴⁾

والمتتبع لسيرة حياة ابن عذاري وابن خلدون يجد أن كليهما عاشا في كنف دول مختلفة، فالأول عاش مؤثرات القرن السابع وبداية القرن الثامن للهجرة، في ضل حكم دولة بني مرين، والتي كان العلم سائدا فيهما واستنفذ أغلب مجهودات ملوكها حتى قيل أنهم لم يوفقوا في السياسة كما وفقوا في نشر العلم، وتتميز هذا العصر

(1) إلهام قاتل: "النص الخلدوني - زوايا النظر ومستويات القراءة"، مذكرة تخرج في التاريخ الوسيط، جامعة المسيلة، 2013 م، ص 3.

(2) محمد عابد الجابري: العصبية والدولة - معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي -، ط 6، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 1994، ص 19.

(3) علاوة عمارة: المرجع السابق، ص ص 187-188.

(4) محمد الجوهري ومحسن يوسف: ابن خلدون إنتاج فكري متجدد، تقديم: إسماعيل سراج الدين، مصر: مكتبة الإسكندرية، 2008، ص ص 29-30.

بالازدهار الثقافي بشكل عام، وكنتيجة لازدهار العلوم في هذه المنطقة راجت فيها مهنة نسخ الكتب (1)، أما بالنسبة لعبد الرحمن بن خلدون فقد عاش في ضل دولة بني مرين والدولة الحفصية، وبالتالي كان المجال الذي عايشه أوسع من مجال ابن عذاري المراكشي بكثير، فقد وُلد في افريقية، وعاش حياته متقلبا بين المناصب، لينتقل بعدها إلى قصور المرينيين بفاس ثم إلى بلاط ابن الأحمر في غرناطة التي عاد منها ليتولى منصب الحجابة لدى أمير بجاية الحفصي، ثم ليعتزل السياسة بعد ذلك إلى أن انتهى به المطاف في قلعة بني سلامة ليدون مقدمته الشهيرة.(2)

أما لو بحثنا في المجال الجغرافي الذي عاش فيه المؤرخين والذي أدى إلى الخصوبة الفكرية فسنلاحظ فرقا شاسعا بينهما، فابن عذاري المراكشي مؤرخ مغربي عاش في نطاق المغرب الأقصى بالضبط في مراكش رغم أن أصله أندلسي، وتنقل بين مراكش وفاس (3) فهو كما يظهر بالنسبة إلى مراكش ونواحيها" من حيث الانتماء والاستيطان والدراية الشخصية بالمعالم والأعلام، وهو على صلة وثيقة بناحية سوس وجبال الأطلس الكبير(4)، المسماة في عصره جبال درن (5)، ولا بد أن ابن عذاري وقف على هذه الجبال لأنه قدم لنا معلومات دقيقة غير متوقعة عن حملة عقبة في مراكش المحل الذي ألف فيه "البيان المغرب" ومن المؤكد أنه في بيئة محافظة كالبيئة البربرية في جنوبي مراكش - حيث لا زالت ذكريات الفتح الإسلامي لهذه النواحي حتى زمن ابن عذاري حاضرة في الأذهان، يؤكد ذلك ما أخذه من روايات على شيخ من عصره يسمى أبو علي صالح بن أبي صالح.(6)

(1) عبد الواحد ذنون طه: "موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس"، العراق: مجلة المجمع العراقي، مج40، ج3-4/1989، ص ص 207-209.

(2) حسين عاصي: ابن خلدون مؤرخا، ط1، بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، 1991، ص68.

(3) أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1978، ص330.

(4) عبد القادر زمامه: "مؤرخ المغرب والأندلس ابن عذاري المراكشي"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، تصدر عن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدمشق، ع17/ماي 1997، ص107.

(5) تقع في جنوب مراكش وهي جب عظيم وشاهق مشهور ببلاد المغرب، وأول هذا الجبل عند البحر المحيط الغربي في أقصى المغرب وفيه بلاد المصامدة، وبلاد مشكورة وبلاد هنتانة. أنظر: عماد الدين إسماعيل أبي الفداء (ت732هـ/1331م): تقويم البلدان، بيروت: دار صادر، د.ت، ص65.

(6) عبلة عماري: "الكتابة التاريخية في المغرب الأقصى خلال القرن (7هـ/13م) - ابن عذاري المراكشي أمودجا-، مذكرة تخرج ماستر في التاريخ الوسيط، جامعة المسيلة، 2013، ص19.

إن النطاق الجغرافي في العصر الذي عاش فيه ابن عذاري بداية من عام (668هـ/1269م) قد تميز بووروث المرينيين حصاد قرنين من المجهودات العلمية للمرابطين والموحدين في مجال الثقافة والعلم والأدب، وأضافوا إليه جرعة قوية ساهمت في ازدهار الحياة الفكرية بفضل دعم سلاطينها، والذي شمل إنشاء المدارس وخزائن الكتب، والاعتناء بالعلماء والفقهاء والصوفية، وإيلائها أهمية لمجالس العلم والمناظرة، كما اهتم ملوكها بالعلم والعلماء، فهذا أبو يوسف كان من عاداته بعد صلاة الصبح أن يقرأ بين يديه إلى وقت الضحى كتب السير والقصص وفتوح الشام فيستمع إليها ويناقش الحاضرين في مشكلاتها، فضلا عن إنشاء خزانات الكتب، هذه العوامل كلها أدت إلى الخصوبة الفكرية فكثرت التأليف في كل المواد والفنون، وبهذا يكون العصر الذي عاش فيه ابن عذاري والمجال الذي تبحر فيه قد مر بأوضاع مزدهرة من الناحية العلمية، جعلته يتأثر بنهضتها العلمية التي انعكست في مؤلفه البيان المغرب. (1)

أما النطاق الذي عاش فيه ابن خلدون فإن السيرة الذاتية الخلدونية تقدم لنا حوله معلومات أصلية برؤية ذاتية، ففي سنة (784هـ/1382م) انتقل من تونس متوجها إلى مصر واستقر بها عهد السلطان الظاهر بروق، الذي أحسن وفادته فهياً له ذلك فرصة الإطلاع على العديد من المؤلفات التي تساعده في مراجعة كتاباته وتعزيزها بالمصادر وتوسيع معلوماته عن تاريخ المشرق⁽²⁾، ففي مصر عرف ابن خلدون الثقافة الإسلامية الشرقية عن كتب وكانت تفوق الثقافة الإسلامية التي عرفها بالمغرب، وعاشر علمائها وشيوخها وأقام مدة ليست بالقصيرة بالقاهرة المملوكية⁽³⁾، ثم اتجه للحج وزار بيت المقدس والتقى بتيمورلنك في دمشق ثم عاد للقاهرة حيث توفي بها، هذا الترحال جعله يكتب ويؤرخ بمحل المؤرخ المعاش للأحداث المعين للوقائع، وهذا يثمن قيمة مؤلفه العبر. (4)

رغم ذلك فإن عمل ابن خلدون السياسي والإداري وتنقله بين الأقطار لم يصرفه عن طلب العلم فقد تفرغ لذلك في فترات مختلفة حتى استقر به المقام سنة (776هـ/1374م) في قلعة بني سلامة⁽⁵⁾، ولمدة أربع

(1) عبلة عماري: المرجع السابق، ص ص 23-24.

(2) ساطع الحصري: دراسات عن مقدمة ابن خلدون، ط3، القاهرة: مكتبة الخانجي؛ بيروت: دار الكتاب العربي، 1967، ص ص 91-93.

(3) عبد الرحمن ابن خلدون(ت808هـ/1406م): رحلة ابن خلدون - عبد الرحمن بن محمد الخضرمي الاشيلي - ، عرض: محمد بن تاويت الطنجي، ط1، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، 2004، ص ص 199-208.

(4) خالد فؤاد طحطح: "منهجية ابن خلدون التاريخية"، دورية كان التاريخية، ع7/مارس 2010، ص 58

(5) قلعة ابن سلامة أو بني سلامة وتسمى قلعة تاوغزوت، تقع في ولاية وهران من بلاد الجزائر الحالية. أنظر: تقي الدين أحمد بن علي المقرئ (ت 845هـ/1442م): الخطط المقرئية، بيروت: مكتبة العرفان، د.ت، مج2، ص 204.

سنوات ألف خلالها كتابه العبر بصورته الأولية لكن حاجته إلى مصادر لم تكن متيسرة في قلعة بني سلامة فعاد إلى تونس سنة (780هـ/1378م) لإكمال كتابتها وتعزيزها بالمصادر الموجودة في مكتبة سلطان تونس أبي العباس أحمد الحفصي (1)، لقد كان لتنقل ابن خلدون بين الأقطار بالغ الأثر في ما أحرزه من إنجازات، وكان خير شاهد على عصره، فهو تعرف إلى أحداثه عن كتب ودرس على علمائه وعاشهم وعاش شطرا كبيرا من حياته في قصور الحكام فتعرف على أحوالهم وأسلوب حياتهم وشاركهم اهتمامهم ومشاكلهم، كما قضا شطرا آخر بين القبائل فاتكت بزعمائها وأفرادها، مما كان له أكبر الأثر في تكوين وتثقيف نظريته للكون والإنسان، إلى الاجتماع وال عمران والتاريخ. (2)

كما يكون بهذا التنقل قد شاهد أحوال الكثير من الدول وخاصة عوامل التدهور التي بدأ العالم الإسلامي يعانيها، مما أعطى لمؤلفاته وبخاصة المقدمة الشهيرة أهمية كبيرة وقيمة تاريخية فريدة (3)، كما ساهم هذا التنقل ولا شك في توسيع معارفه وتنويع منظومته الفكرية والمعرفية من خلال الاحتكاك والتفاعل مع معاصريه في مختلف البلاد الإسلامية، وكما يقول علماء الاجتماع فالإنسان ابن بيئته تصنعه وتشكله وتلقي بضالها على أفكاره ورؤيته للحياة، ولم يكن ابن خلدون استثناء من ذلك، فقد ظهر في عصر كانت الحضارة الإسلامية مازالت فيه قادرة على العطاء والإضافة للإنجازات الإنسانية، رغم أنها كانت في بدء مرحلة الأفول كما ذكرنا سابقا، هذا الوضع المملوء بالتناقض والمشحون بالصراعات كان سمة العصر الذي نشأ فيه ابن خلدون والذي يمكن أن تلمس أثره بشكل واضح في سيرة حياته وإنجازاته التاريخية. (4)

إذا بمقابلة معطيات المجال الجغرافي الذي عاش فيه ابن عذاري وابن خلدون يظهر أن تنوع المجال الجغرافي لدى هذا الأخير قد ساهم في زيادة دقة تصويره للأحداث وقربه في وصف الحقائق، فاستطاع من خلال مؤلفه العبر تصوير الواقع بنظرة فاحصة، وخاصة الجغرافيا التاريخية بتقديمه أوصافا دقيقة لمختلف الأقطار، كما انعكس هذا على منهجه ومفهومه للتاريخ جعله يبتدع العلم الذي أسماه بال عمران البشري، ولا شك أن الأمور التي لاحظها خلال هذه السنوات الطويلة وفي هذه الأقطار المختلفة كانت من أهم العوامل

(1) ابن خلدون: الرحلة، ص 204 .

(2) حسين عاصي: المرجع السابق، ص 77.

(3) يسري عبد الغني عبد الله: "إطلالة على تطور الكتابة التاريخية..."، ص 115.

(4) محمد الجوهري ومحسن يوسف: المرجع السابق، ص 11.

التي أثرت تأملاته، ووجهت نظرياته⁽¹⁾، أما ابن عذاري فلا شك أن استقراره بمجال المغرب الأقصى وبالضبط في مراكش جعل نظرتة ضيقة للأحداث نظرا للمجال الضيق الذي عاش فيه.⁽²⁾

ويعكس التراث التاريخي من القرن السابع والثامن للهجرة أهمية هذا العصر الذي عاش فيه ابن عذاري وابن خلدون فلا عجب أن يبرز فيه العديد من العلماء في شتى المجالات، وشهد مؤلفات علماء أفذاذ أمثال بن أبي زرع(ت726هـ/1325م) صاحب كتاب "الأنيس المطرب بروض القرطاس"، وابن الأحمر في كتابه "روضة النسرين في أخبار بني مرين"، وابن خلدون في كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر".

وما يلاحظ في جانب الكتابات التاريخية؛ عصر ما بعد الموحدين وعصر المرينيين والحفصيين ضمن نطاق الغرب الإسلامي انتشار ظاهرة التقليد والجمع في ميدان التاريخ حيث راجت كتابات متنوعة تراوحت بين التاريخ السلالي والتاريخ القطري والتاريخ العالمي الإسلامي بطريقتين، تمثلت الأولى في كتابة تاريخ العالم الإسلامي في مؤلفين منفصلين من طرف نفس المؤرخ: المشرق في التأليف الأول والمغرب في الثاني، وأول من مثل هذا الاتجاه هو ابن سعيد الأندلسي(ت1286/685) من خلال كتابه "المغرب في حلى المغرب" والمشرق في حلى المشرق"، كما نجد ضمن هذا الاتجاه ابن عذاري المراكشي الذي ألف كتاب أول ضائع بعنوان "البيان المشرق عن أخبار المشرق"، والكتاب الثاني "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"⁽³⁾ وهو الكتاب الذي وصلنا بكل أجزائه، أما الطريقة الثانية لهذه الكتابة التاريخية هي محاولة كتابة تاريخ عالمي وفق المنظور الكلاسيكي العباسي الذي تأثر به عبد الرحمن بن خلدون، ولهذا كتب تاريخ عالمي بعنوان "كتاب

(1) سامية حسن الساعاتي: ابن خلدون مبدعا- قراءة جديدة لفكره ومنهجه في علم الاجتماع -، ط1، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2006، ص 13.

(2) يسري عبد الغني عبد الله: "إطلالة على تطور الكتابة التاريخية..."، ص 205.

(3) هو من أشمل الكتب التاريخية التي وصلتنا عن تاريخ شمال إفريقيا والأندلس، وقد ألفه ابن عذاري المراكشي في وقت متأخر أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن للهجرة، وقد قسمه إلى ثلاثة أجزاء: الجزء الأول تاريخ شمال إفريقيا منذ الفتح العربي الإسلامي حتى ظهور المرابطين والموحدين، ويبحث في الجزء الثاني أخبار الأندلس مبتدئا بالفتح وعصر الولاة وغيرهم ممن حكم الأندلس إلى حين دخول المرابطين، وعالج في الجزء الثالث أخبار الدولة المرابطة للمتونية منذ بدايتها في المغرب حتى توسعها في الأندلس إلى حين ابتداء الدولة الموحدية مستعرضا تاريخها إلى حين سقوطها هي الأخرى واستيلاء المرينيين على عاصمتها عام 668هـ، وتكمن أهميته في اعتماده على الكثير من الاقتباسات التي فقدت أصولها ولم يعد بإمكان الباحثين مراجعتها إلا من خلال كتابه المذكور أعلاه، إن الكشف عن هذه الموارد ودراستها ومقارنتها مع بعضها البعض يعد تحقيقا شاملا لمصادر التاريخ العربي في شمال إفريقيا والأندلس، ويمكن الرجوع إليه للتعرف على شتى المدارس التاريخية التي ظهرت في المغرب وأساليب الكتابة والتدوين والرواية. أنظر عبد الواحد ذنون طه: "موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي..."، ص ص 201-202.

العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" (1) وهذا الكتاب يسجل محاولة ربط المغرب بالشرق فكريا. (2)

2- نشأتهما العلمية:

عندما أتحدث هنا عن التكوين العلمي فلا اقصد به التكوين العلمي العام بل التكوين المسهم في نوعية الكتابة التاريخية لدى ابن عذاري وابن خلدون، فبالنسبة إلى ابن عذاري فلا نجد ترجمة وافية له تمكننا من الإحاطة بكل ظروف نشأته العلمية وما يحيط بملاسات حياته (3)، إذ ليس بين أيدينا من المعلومات عنه إلا نزر يسير متمثل في الإشارات التي تقدم بذكرها هو نفسه في مقدمة كتابه البيان المغرب الذي يعتبر ذو قيمة تاريخية كبيرة لما يحويه من فقرات هامة من مؤلفات أخرى عبثت بها يد الزمان. (4)

ويتبين لنا من خلال كتابه "البيان" أنه واسع الإطلاع على مختلف التأليف المشرقية والمغربية مثل تاريخ الطبري والبكري والرقيق القيرواني ونظم الجمان في أخبار الزمان لابن القطان، بالإضافة إلى ولوعه بمجالسة العلماء ومذاكرة الأدباء والفضلاء والأخلاء من ذوي العلم، ومما يدل أيضا على ثقافته الواسعة والمتنوعة إتقانه للغة اللاتينية والعبرية و استخدامه لكتب العجم واطلاعه عليها. (5)

كما يظهر أن التكوين العلمي لابن عذاري المراكشي تكوين مستمد من مجالسة العلماء والمناظرات في حلق الدرس، دون أن يتعدى قطر المغرب الأقصى مما يشي بأن تكوينه مغربي أصيل، وذلك بالاستناد إلى

(1) يعتبر أهم أثر لابن خلدون والذي جرت العادة اختصار اسمه في كلمتي "كتاب العبر"، قسمه ابن خلدون فجعله مقدمة وثلاثة كتب، وقد جمعت المقدمة مع الكتاب الأول "العمران" مع الخطبة التي افتتح بها هذا العمل في مجلد واحد وهو ما نسميه الآن "مقدمة ابن خلدون" وجعل الكتابين الباقيين في البحوث التاريخية الخالصة؛ الكتاب الثاني تحدث وقفه على أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ بدا الخليقة، أما الكتاب الثالث فقد وقفه على "تاريخ البربر ومن إليهم من زناته وذكرهم أوليتهم وأجيالهم وما كان لهم بديار المغرب خاصة من الملك والدول" أي وقف على شمال افريقية منذ نشأة شعوبها حتى عصره. أنظر: علي عبد الواحد وافي: عبقریات ابن خلدون، ط2، المملكة العربية السعودية: عكاظ للنشر والتوزيع، 1984، ص 119-121.

(2) علاوة عمارة: المرجع السابق، ص 170.

(3) يعتبر ابن عذاري المراكشي ابن المدرسة التاريخية بمراكش؛ ونظرا لما كان لهاته المدينة من مكانة سياسية كونها حاضرة في العهدين المرابطي والموحدي جعلها محطة يتوافد عليها العلماء من أنحاء بلاد المغرب والأندلس وإفريقيا مشكلين بذلك ما يمكن أن نطلق عليه المدرسة المراكشية في التاريخ والتي بدأت بوادها في الظهور مع دولة المرابطين وازدادت نشاطا في العهد الموحد في سياق تشجيع الموحدين للنشاط العلمي بوجه عام وتأسيس المدارس وتعمير المعاهد واستقطاب العلماء وتنظيم المناظرات والدفع لحركة تدوين الكتب مما سمح بظهور كتابات المؤرخين مقربين من دواليب السلطة كانوا من مقرييها والزائدين على إيديولوجيتها، وقد استمرت هذه المدرسة حتى قيام المرينيين التي ميزها ظهور الموسوعات التاريخية التي وضعها مثقفو العصر. أنظر: محمد بن شريفية: مقدمة تحقيقه لكتاب الذليل والتكملة، ج8، ص 77.

(4) أنجل جنثال بالنيثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، تح: حسين مؤنس، مصر- بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ص 249.

(5) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص ص 3-4.

ما وصلنا عنه من إشارات قليلة لا تسمح حتى بفتح باب التأويلات لنشأته العلمية الأولى في بواكير عمره، والتي ساهمت في توجهه لمجال الكتابة التاريخية وساهمت في رسم منهجه وأسلوبه فيها، فكما أشار ابن عذاري إلى ما شغل به نفسه من حفظ الأخبار ومجالسة الأدباء يدل على تمكنه من علوم شتى، منها الأدب إذ كان ذو مستوى عالي في التمكن من اللغة والأسلوب وتخير الألفاظ، وهذه النبذة المختصرة عن تكوينه العلمي مستمدة من خلال نتف المعلومات الواردة في "البيان المغرب" وتنطبق تماما على منهجه وخلفيته في الكتابة التاريخية.⁽¹⁾

وعندما نأتي للبحث في تأثير نشأته العلمية وإسهامها في كتابته التاريخية فعلينا الرجوع لكتابه "البيان المغرب" لنستخلص بعضها، فمن خلال توجهه في الكتابة التاريخية يمكن أن نستنتج أسبابها لما ذكره ضمن فاتحة كتابه في قوله: "ولما كلفت بأخبار الخلفاء والأئمة والأمراء بالبلاد الشرقية والمغربية وما والاها من الأقطار وولعت بالمناظرة في ذلك مع الفضلاء والأخلاء ذوي الأقدار والأخطار"، وهذا كان ولوع ابن عذاري بهذا النوع من النشاط الثقافي الذي لم يكن ليعوضه عنه شيء في حالة عدم توفره إلا مطالعة كتاب يتخذه جليسا هذا ما ساهم في تكوينه التاريخي.⁽²⁾

ويبدو أن ابن عذاري دون كتابه "البيان المغرب" مضطرا كما أشار في مقدمة كتابه قائلا: "... طلب بعضهم إلي ممن يجب إكرامه علي أن اجمع له كتابا مفردا في أخبار ملوك البلاد الغربية على سبيل الإيجاز والاختصار ولازمي في طلبه مرارا فلم يمكنني التوقف في ذلك ولا الاعتذار، وحملني على جمعه وتأليفه حمل اضطرار لا اختيار..."⁽³⁾ فقد كتبه بناء على طلب ملح من أحد أصدقائه الفضلاء من بين العلماء الأخيار العديدين الذين تعود على مجالستهم.⁽⁴⁾

وعلى عكس ابن عذاري فإن التكوين العلمي لابن خلدون والمسهم في منهجه التاريخي يمكن أن نستمد أغلب تفاصيله من سيرته الذاتية، بداية من حفظه للقرآن وتحكمه في القراءات السبع على يد أبي العباس أحمد بن البطوي، ثم دراسته لأمهات كتب الفقه المالكي على يد نفس الأستاذ، واخذ علوم العربية والشعر عن أبي العباس أحمد بن القصار ولازم شيخ المحدثين بتونس أبي عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي،

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص3.

(2) عبد الواحد ذنون طه: "موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي..."، ص 210.

(3) ابن عذاري: المصدر السابق، ص ص 3-4.

(4) عبد الواحد ذنون طه: "موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي..."، ص 210.

ويركز ابن خلدون في سيرته على أبي عبد الله محمد ابن إبراهيم الأبلي الذي كان شيخه الأول في العلوم العقلية، وأكمل تكوينه بعد ذلك بمراكش على يد أبي العباس بن البناء(ت721هـ/1321م)، وبذلك يكون قد تجاوز الفكر الأصولي المالكي الكلاسيكي.(1)

لقد كان ابن خلدون في كل صفحات العبر لا سيما المقدمة فقيها متكلماً من أتباع المذهب المالكي يرى الدين أهم شيء في الحياة، ونلمس ذلك في كتاباته، إذ نجد أنها متوافقة منطقياً مع الموقف الإسلامي، واستبعدت أي شيء لا يتلاءم معه(2)، فمنهجية تدوينه إسلامية خالصة وهي تؤكد إقامته فلسفة تاريخية حسب متطلبات الشرع الإسلامي(3)، كما واصل عبد الرحمن بن خلدون حضوره مجالس العلم على يد نخبة من كبار الأساتذة الذين رافقوا السلطان المغربي أبا الحسن المريني في غزوته لافريقية سنة 748هـ(4)،

والى جانب ذلك يمكن القول بأن ابن خلدون في حياته عاش أربع مراحل تمتاز كل مرحلة منها بمظاهر خاصة من نشاطه العلمي والعملية، لكن المرحلة الأولى مرحلة النشأة والتلمذة والتحصيل العلمي هي أهم مرحلة في حياته، وتمتد من ميلاده لغاية سنة 751هـ(5)، كون فيها ثقافته الموسوعية ولكنه ما كاد يبلغ العشرين من عمره حتى انقطع عن الدراسة ورمى بنفسه في خضم الحياة السياسية المضطربة التي كان يتميز بها المغرب الإسلامي في ذلك الحين، وأما سبب تركه الدراسة فهو يجيب عليه في سيرته وفي المقدمة إذ يقول أن الطاعون انتشر في البلاد سنة 749هـ فأتى على والديه ومعظم أساتذته كما دفع بالآخرين إلى الفرار وجهة المغرب الأقصى.(6)

ومن خلال إمعان النظر في سيرة ابن خلدون يتضح أن تكوينه لم يكن بادئ ذي بدء تكوين مؤرخ، كما لم يعرف عنه انه عني بالتاريخ قبل أن يؤلف كتابه العبر إلا بعد أن بلغ الثالثة والأربعين من عمره، وإثر محاولات عديدة في ميادين فكرية أخرى فقد انصب جل اهتمامه في فترة شبابه على الفلسفة بوجه الخصوص، ونحن نعرف من خلال سيرته الذاتية ومن قائمة الكتب التي ألفها قبل كتابته للمقدمة والعبر اهتمامه الملحوظ بالفلسفة والعلوم العقلية منها كتاب "لباب المحصل في أصول الدين"، وبالتالي نستنتج من هذا أن التقاء ابن

(1) علاوة عمارة : المرجع السابق، ص 192.

(2) هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام، تر: إحسان عباس، ط2، بيروت: دار الطليعة، 1981، ص178.

(3) ناصيف نصار: الفكر الواقعي عند ابن خلدون، بيروت: دار الطليعة، 1981، ص 178.

(4) محمد الجوهري ومحسن يوسف: المرجع السابق، ص 12.

(5) عبد الواحد وافي: المرجع السابق، ص 17.

(6) زينب الخضيري: : فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1989، ص15.

خلدون بالتاريخ عرضيا ومفاجئا بقدر ما كان حاسما وقد وصل إليه عن طريقين؛ طريق التجربة السياسية الغنية وطريق التأمل العقلي ولعل الطريق الأولى أوصلته إلى الثانية، فقد انخرط بقوة وإلحاح في أحداث عصره وعاش تجربة سياسية غنية بالمفاجآت والتقلب بين النجاحات والإخفاقات مما جعله أخيرا يتوجه إلى التاريخ وينصرف إليه يستغيه الدروس والعبر . (1)

لقد وصل ابن خلدون من خلال تكوينه المتنوع بين العقلانية الأصولية والكلامية، وبين الموروث الفلسفي اليوناني منه والإسلامي، ولهذا فإنه لا ينكر معرفته بفكر المعلم أرسطو وبالفارابي وابن سينا وجماعة إخوان الصفا وكبار منظري فكر الاعتزال، وبالتالي لا يمكننا فصل ابن خلدون عن ثقافة معاصريه بعالم الإسلام وعزله عن مؤثرات العصر ودوره الفعال في رسم شخصيته التاريخية وفكره ومنهجه، ولا يمكن الحديث عن ابن خلدون المؤرخ قبل ابن خلدون الأصولي، هذا ما يدفنا إلى تبني مصطلح العقلانية الأصولية والكلامية للحديث عن جيل ابن خلدون، وأشار بالذكر هنا إلى مدى تمكن ابن خلدون لغويا، يعكس ذلك دقة تحييره للألفاظ المعبرة عن أفكاره. (2)

3- مفهوم التاريخ عند ابن عذاري وابن خلدون:

لم يقدم ابن عذاري تعريفا مضبوطا للتاريخ لكن بوسعنا استخلاص مفهومه له من خلال ما أورده في كتابه البيان من موضوعات، وهو أن التاريخ عبارة عن أخبار الأمراء والملوك والأحداث التاريخية السياسية والعسكرية وتاريخ الدول والأقطار والجماعات، هذا المفهوم يدل على مزج الأخبار التاريخية بالمعلومات الجغرافية، وكانت هذه الظاهرة أمرا مألوفا وشائعا بين المؤرخين المسلمين لا سيما في عصره إذ كانوا في الغالب يبدؤون تواريخهم بالحديث عن جغرافية البلد الذين يؤرخون له (3).

وما يؤكد على هذا المفهوم هو الإشارات التي قدمها في كتابه بدءا بفاتحته التي نرصد فيها ما يدل على ذلك مثل قوله " طلب بعضهم إلي ممن يجب إكرامه علي، أن اجمع له كتابا مفردا في أخبار ملوك البلاد الغربية، على سبيل الإيجاز والاختصار " ، وفي قوله "فجمعت له في هذا الكتاب نبذا ولمعا من عيون التواريخ

(1) حسين عاصي: المرجع السابق، ص ص 78-79.

(2) علاوة عمارة: المرجع السابق، ص 192.

(3) عبد الواحد ذنون طه: "موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن المرابطين..."، ص 212.

والأخبار مما جرى الله به تصارييف الأقدار فيما مر من الأزمنة والأعصار في بلاد المغرب وما والاها من الأقطار ...". (1)

كما ينهض وصفه لمضمون كتابه دليلا آخر على هذا المفهوم، من خلال قوله: " جمعت ذلك من الكتب الجليلة مقتضبا من غير إسهاب ولا إكثار فاقطفت عيونها واقتضبت فنونها ووصلت الحديث بالقديم والقديم بالحديث لأنه إذا اتصل يستظرف"⁽²⁾، وكما نعلم أن الخبر لا يتعدى بتفاصيله الحادثة الواحدة وكونه غير قابل للارتباط بأخبار حوادث أخرى وبالتالي لا يمكننا تكوين كتاب تاريخ من مجموعة أخبار ربما تباينت موضوعا وبقعة جغرافية وفترة زمنية⁽³⁾، لذلك نلاحظ تقسيم ابن عذاري لكتابه إلى أقطار مشرق ومغرب وإلى حوليات بالسنين في نفس الوقت مما ينم عن معرفته العميقة بالمدارس التاريخية وأساليب الكتابة التي سادت قبله، أبرزها أسلوب الرواية أي اختصار الأخبار وروايتها كحادثة واحدة متصلة بغض النظر عن السنين وكذا أسلوب الحوليات. (4)

من جهة أخرى نلاحظ أن مفهوم ابن خلدون يختلف عن مفهوم ابن عذاري، إذ يعتبر جديدا على عصره، وعلى خلاف ابن عذاري فقد ضبط ابن خلدون مفهومه للتاريخ في كتابه العبر، حيث يورد عدة تعريفات للتاريخ من أبرزها " أن فن التاريخ من الفنون الذي تداولته الأمم والأجيال ... إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق"⁽⁵⁾.

أما التعريف الأشمل فيرد في الباب الذي يتحدث فيه عن العمران بقوله " أعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر على بعضهم البعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال". (6)

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، ص 3.

(2) نفسه، ج 1، ص 3.

(3) محمد احمد ترحيني، المرجع السابق، ص 131.

(4) عبد الواحد ذنون طه: "موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن المرابطين..."، ص 212.

(5) ابن خلدون: العبر، ج 1، ص 7.

(6) نفسه، ج 1، ص 35.

تؤكد هذه العبارات على فهم ذكي لطبيعة التاريخ ووظيفته فهو في باطنه نظر وتحقيق أي تفكير في طبائع البشر وتكوين مجتمعاتهم وبحث عن أسباب الحوادث وتحليل لنتائجها فهو على هذا كما يقول ابن خلدون "أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعد من علومها خليق"، لكن يستوقف النظر أن ابن خلدون ينظم التاريخ في سلك الفنون لا العلوم والفن بمعنى الضرب من الشيء كما جاء في لسان العرب، ثم يعود ابن خلدون ويعقد فصلا سماه "في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط وذكر شيء من أسبابها"، ولكن يبدأ هذا الفصل ذاته بقوله "إعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب" فكأنه غير مقتنع تماما بأن التاريخ علم مستكمل لأشراط العلوم. (1)

ويؤكد ابن خلدون على أن التاريخ ليس مجرد حشد عشوائي من الأحداث وإن بدا ظاهريا كذلك فعلي العين الخبيرة الفاحصة أن تستكشف الباطن، ومن أجل بلوغ هذا الباطن يتوجب امتلاك أدوات نظرية ومنهج واضح المعالم، بحيث تشكل سويا نسقا علميا متكاملا فلا بد من تحديد الواقع التاريخي وتحديد العلم التاريخ بمعنى أن بنية هذا الواقع التي هي موضوع معرفة هي التي تحدد شكل مقارنته، ويشير ابن خلدون إلى أنه من خلال قراءة الأحداث يجب التوصل إلى أسبابها واكتشاف العلاقات فيما بينها وبذلك يتم تجاوز الفهم التجريبي للتاريخ والانتقال إلى فهم سببي وبالتالي الفهم العلمي للتاريخ، وذلك من خلال ربط الحدث بقاعدته المادية التي أنتجت فيقول ابن خلدون إن علم التاريخ نظر وتحقيق وبهذا رفض للسرد والإخبار وتنويه بضرورة تأسيس نظرية متماسكة لتفسير وفهم الوقائع والأخبار والأحداث. (2)

ويمكن تحديد مفهوم ابن خلدون للتاريخ من خلال جملتين وذلك في قوله: "التاريخ تعليل للكائنات ومبادئها" ويعني بذلك معرفة علة الشيء أو البحث في الأسباب فالتعليل هو إرجاع الشيء إلى علته، أما العبارة الثانية فهي "أن التاريخ علم بكيفيات الوقائع وأسبابها" بمعنى البحث في أسباب حركة الوقائع والنظر إليه كصيورة متحولة وفق هذه الأسباب، لذلك فهو يصف كتابه العبر قائلا " فصلته في الأخبار والاعتبار بابا بابا وأبدت فيه لأولية الدول والعمران عللا وأسبابا". (3)

كما أن أكثر الباحثين يؤكدون على إبداعية ابن خلدون إذ أنه أول من دعا إلى استقلال علم التاريخ عن العلوم الشرعية الإسلامية التي ارتبط بها ردحا من الزمن، كما يعتبر أول من ميز موضوع التاريخ وحقله عن

(1) حسين مؤنس: التاريخ والمؤرخون-دراسة في علم التاريخ -، القاهرة: دار المعارف، 1984، ص14.

(2) خلدون خليل سليم الحباشنة: "ابن خلدون والتاريخ"، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، الجامعة الأردنية، 2010. ص ص 97-98.

(3) مهدي عامل: في علمية الفكر الخلدوني، بيروت: دار الفارابي، 1985، ص ص 16-17.

موضوعات العلوم الإسلامية (الحديث، والتفسير والسيرة..)، ويعكسه قوله: "هذا العلم مستقل بنفسه فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري، والاجتماع الإنساني، وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعيا كان أو عقليا".⁽¹⁾

وكثيرا ما تجاوز البعد الإيماني الديني عند ابن خلدون الوقائع التاريخية مما يحسب على مفهومه للتاريخ، فمثلا نجده يقف بإجلال عند ظاهرة الفتوحات الإسلامية والتي اقر بحرقها المؤلف⁽²⁾، وجاء ذلك على حد قوله في مقدمته: "معجزة من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم سرها استماتة المسلمين في جهاد عدوهم استبصارا بالإيمان وما أوقع الله في قلوب عدوهم من الرعب والتخاذل، فكان ذلك خارقا للعادة المقدرة في مطاولة الدول المستجدة للمستقرة.. والمعجزات لا يقارن عليها الأمور العادية ولا يعترض بها⁽³⁾، وكذلك آرائه في النظام السياسي بقوله "لتم حكمة الله في بقاءه وحفظ نوعه.. وإلا لم يكمل وجودهم وما أراد الله من اعتمار العالم بهم".⁽⁴⁾

إذا من خلال ما سبق ذكره يتضح لنا الاختلاف جليا في مفهوم التاريخ عند ابن عذاري المراكشي وابن خلدون من عدة نواحي، أولها طبيعة الموضوعات وتنوعها، وثانيها الناحية التطبيقية بما معناه التأريخ، وثالثها الناحية المنهجية وكيفية تدوين الأحداث، وسيتضح ذلك أكثر في مقارنتنا بين منهجيهما في كتابة التاريخ فيما سيأتي ذكره لاحقا .

(1) وجيه كوثراني: تاريخ التأريخ - اتجاهات، مدارس، مناهج-، ط2، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013، ص ص 96-97.

(2) عماد الدين الخليل: ابن خلدون إسلاميا، ط1، بيروت: المكتب الإسلامي، 1983م، ص 47.

(3) ابن خلدون: العبر، ج1، ص 654.

(4) نفسه، ج2، ص 422.

الفصل الثالث:

مصادر ابن عذاري وابن خلدون في كتابة تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد للمغرب

- 1- موقع تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ضمن كتابي "البيان المغرب" و"العبر"
- 2- مصادرهما في كتابة تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب
- 3- مقارنة في مصادرهما (التنوع والتوظيف)

مصادر ابن عذاري وابن خلدون في كتابة تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

بدايةً أُنوه إلى إن المصادر التي تشمل المقارنة هنا هي المصادر التي استعان بها ابن عذاري المراكشي وابن خلدون في التأريخ للقضايا التي تخص الفتح الإسلامي لبلاد المغرب فقط، وهذا ضمن كتابيهما المشهورين؛ "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، وكتاب "العبر"، وستشمل هذه المقارنة أصناف هذه المصادر، ومعيار الأولوية في انتقاء المؤرخين لمصادرها، وأثر تنوع المادة المصدرية في تحديد قيمة نص الفتح لدى المؤرخين. (1)

1- موقع تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ضمن كتابي "البيان المغرب" و"العبر"

تعطينا المقارنة بين المصادر المعتمدة من طرف المؤرخين معياراً تقيماً لحمولة نصوص الفتح الواردة في كتابيهما، كما تعطينا نظرة عميقة فاحصة لدقة هذه النصوص في وصف مسير الفتوحات حين نبحت عن مدى قرب هذه المصادر من زمان ومكان الأحداث، وفي هذه الحالة وجب علي أولاً تحديد مواضع النصوص التي تتحدث عن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب في كتاب "البيان المغرب" (2) لابن عذاري المراكشي، وكتاب "تاريخ العبر" لابن خلدون.

بالنسبة لابن عذاري المراكشي فإن الجزء التي ضمن فيه الحديث عن قضايا الفتح الإسلامي لبلاد المغرب هو الجزء الأول الخاص بأخبار المغرب، وقد روى فيه قصة الفتح كاملة من مقدم عمرو بن العاص إلى نهاية العصر الأموي، وكلما اقترب من نهاية هذا العصر كانت أخباره أوفى وأكمل وأكثر تفصيلاً وأهمية (3)، وما

(1) يظن أناس كثيرون، منهم مثقفون أن التاريخ هو مجموع أحداث الماضي، هذا التعريف التقليدي واضح البطلان، التاريخ في أساسه استحضار، فعندما نقرأ أحداث الفتح في كتاب البيان المغرب لابن عذاري إننا في الحقيقة والواقع نستحضر استحضار ابن عذاري لوقائع هذا الفتح، ليس بين أيدينا سوى انعكاس لما رسب من ماضي المغرب في أذهان ابن عذاري وأمثاله، لذلك فإن دراسة منهج المؤرخ وحياته وأسلوبه في مثل أهمية دراسة كتاباته التاريخية ويجيبنا عن عديد التساؤلات التي لا تتضمنها النصوص في حد ذاتها. أنظر: عبد الله العروي: **مجمّل تاريخ المغرب**، ط1، المملكة المغربية: المركز الثقافي العربي، 1996، ص13.

(2) لقد نشر المستشرق الهولندي رينهاردت دوزي الجزأين الأول والثاني في القرن العشرين، وقام كل من كولان وليفي بروفنسال بإعادة نشرهما في بريل ليدن ما بين عامي 1948-1951، وترجم فانيان الجزء الخاص بإفريقية إلى الفرنسية ونشره في الجزائر سنة 1891م، ولو لم تكن نسخة ابن عذاري التي بين أيدينا والتي نشرها دوزي ناقصة في مواضع كثيرة، وتالفة في مواضع أخرى لكانت روايته عن أخبار هذا الفتح أوفى ما بين أيدينا من الروايات، وسأعتمد هنا على النسخة التي حققها وراجعها ج.س. كولان و إ. ليفي بروفنسال. أنظر: عبد الواحد ذنون طه: "موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن المرابطين والموحدين..."، ص202.

(3) حسين مؤنس: **فتح العرب للمغرب**، بور سعيد- القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، دت، ص 308 .

يهيمن أكثر في هذا الجزء هو "فتح إفريقية للإسلام"⁽¹⁾ إلى غاية "ذكر ولاية موسى بن نصير إفريقية والمغرب وبعض أخبار فتح المغرب الأقصى على يدي الأمير عبد الرحمن موسى بن نصير".⁽²⁾

أما موقع تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب في كتاب "العبر"⁽³⁾، فيتضمنها الجزء الثاني والجزء الرابع اللذان يندرجان تحت عنوان الكتاب الذي سماه ابن خلدون "أخبار العرب وأجيالهم ودولهم"، والجزء السادس والسابع الذي شمل "الطبقة الرابعة من العرب المستعجمة أهل الجيل الناشئ لهذا العهد من بقية الدول الإسلامية" بمعنى أنه الجزء الثالث من تاريخه الذي يشمل تاريخ البربر، وربما كان من الغريب أن يقال إن كتاب ابن خلدون لم يكن ذا أهمية خاصة في دراسة الفتح الإسلامي، إذ المعروف أن "العبر" هو المرجع الأوفى الذي لا يستغني عن النظر فيه لكل من يبحث شيئا من أخبار المغرب، وربما كان سبب ذلك أن ابن خلدون أورد أخبار فتح إفريقية متفرقة فيما أورد من أخبار الخلفاء، فلم يذكر أكثر من بضعة سطور موجزة أشد الإيجاز عن كل حلقة من حلقات هذا الفتح مما لا يعين على تتبع سيرته كاملة.⁽⁴⁾

لكن ابن خلدون عاد فكتب فصولا ثلاثة، مهد بها لتاريخ البربر الذي مثل الجزء الثالث من تاريخه : أولها في "ذكر مواطن هؤلاء البربر بإفريقية والمغرب"⁽⁵⁾، وثانيها في "ذكر ما كان لهذا الجيل قديما وحديثا من الفضائل الإنسانية والخصائص الشريفة" وثالثها في "ذكر أخبارهم على الجملة من قبل الفتح الإسلامي ومن بعده إلى ولاية بني الأغلب"⁽⁶⁾، فوصف في الفصل الأول بلاد المغرب وصفا دقيقا يظهر قيمته ودقته في المعلومات الجغرافية حول الأقاليم والتضاريس والتقسيم الطبيعي.

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 7.

(2) نفسه، ج1، ص39.

(3) لقد نشر البارون دي سلين الجزء الخاص بالبربر في مجلدين سنة 1847م ثم ترجمه إلى الفرنسية ترجمة وافية ظهرت في الجزائر بين سنتي 1852 و1854م في أربع مجلدات *histoire des Berbères*، وتولى الأستاذ بول كازانوف طبع هذه الترجمة طبعة جديدة مصححة ومعلّقا عليها بتعليقات ذات أهمية ظهرت سنة 1928 في باريس، والترجمة منذلة بما ورد في ابن الحكم والنويري عن فتح العرب لشمالي إفريقية، وعلق المترجم على ترجمة ابن عبد الحكم بذكر كل ما أورده تيوفانيز عن هذا الفتح، فاستطعنا أن نحصل بذلك على نص كامل لأخبار الفتح كما أوردها تيوفانيز. ونشر دي فرجير الفقرات الخاصة بالفتح حتى بداية الدولة الأغلبية في كتاب خاص بعنوان *histoire de l'afrique et de la sicile* سنة 1841، وترجم هذه الفقرات ترجمة فيها بعض الأخطاء خصوصا في رسم الأعلام، وقد علق على الترجمة بتعليقات وافية أي استسقى معظمها من الترجمة الناقصة التي كان أوتر قد قام بها النويري. أنظر: حسين مؤنس: **فتح العرب للمغرب**، ص 312.

(4) نفسه، ص ص 311-312.

(5) ابن خلدون: **العبر**، ج6، ص128.

(6) نفسه، ج6، ص 139.

وأوجز في الفصل الثاني أخبار البربر منذ الفتح الإسلامي إيجازا سريعا وردت فيه بضع ملاحظات على جانب عظيم من الأهمية كإشارته حول قادة البربر كسيله والكاهنة⁽¹⁾، وقوله إن صاحب قفصه خلص المسلمين وإن موسى أخذ رهائن المصامدة وأنزلهم بطنجة وغير ذلك من الملاحظات التي ينفرد بها حول الفتح، والتي أخذها عن النسابة البربر مثل هاني بن بكور الضريسي وغيره .⁽²⁾

2- مصادرهما في كتابة تاريخ الفتح الإسلامي للمغرب:

أ- مصادر ابن عذاري:

اعتمد ابن عذاري في كتابة تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب على مصادر متنوعة منها المكتوبة والشفوية، وتزداد أهميتها كون بعضها لا يزال في حكم المفقود، وفر لنا ابن عذاري نقولا منها، وأبرزها:

كتب التاريخ المغربية:

- تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق القيرواني⁽³⁾، (ت 420هـ/1029م):

يشتمل على عشرة مجلدات، يغطي الفترة الممتدة من الفتح الإسلامي إلى سنة (417هـ/1026م)، ويعد أوفى وأشمل ما كتب حول بلاد إفريقية والمغرب، وأصبح بعد القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد مرجعا وعمدة لمعظم المؤرخين المتأخرين الذين كتبوا في تاريخ المغرب⁽⁴⁾، واعتمدوا عليه اعتمادا كبيرا مثل ابن عذاري المراكشي (حي 712) وشهاب الدين النويري، وعبد الرحمن ابن خلدون (ت 808هـ) وغيرهم.⁽⁵⁾

ونجد في كتاب "البيان المغرب" نقولات عديدة عنه، ونلاحظ أن ابن عذاري لا يشير إلى اسم ابن الرقيق إلا لمرة محدودة، وأحيانا دون أن يذكر اسم كتابه، من بين هذه الإشارات التي تخص الفتح أخبار معاوية بن خديج الكندي بافريقية في قوله "ذكر الرقيق في كتابه قال: كان هرقل ملك القسطنطينية العظمى

(1) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 143.

(2) حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص 312.

(3) هو أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق القيرواني الكاتب، غلب عليه الكتابة وعلم التاريخ، وله عدة تصانيف منها كتاب النساء، وكتاب نظم السلوك في مسامرة الملوك، والاختصار البارع للتاريخ الجامع، انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 97.

(4) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 216.

(5) عبد الواحد ذنون طه: "موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن المرابطين والموحدين..."، ص 218.

ورومة يؤدي إلى كل نصراني في بر أو بحر جزيته...⁽¹⁾ ، وفي إشارة أخرى حين يتحدث عن ولاية عقبة بن نافع في قوله " قال إبراهيم بن القاسم ووصل عقبة بن نافع الفهري...⁽²⁾ ، وهناك روايات تتطابق مع القطعة المنشورة التي وصلتنا، وتشتمل على أخبار مختلفة منها خبر عودة موسى بن نصير من الأندلس إلى إفريقية محملاً بالأموال.⁽³⁾

- كتاب نظم الجمان ووضح البيان فيما سلف من أخبار الزمان لابن القطان المراكشي⁽⁴⁾ (حي في النصف الثاني من القرن 7هـ):

اعتمد ابن عذاري على هذا الكتاب اعتماداً كبيراً في كل جزء من أجزاءه أما فيما يخص نصوص الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، فتضمن أخبار فتح المغرب الأقصى على يد عقبة بن نافع رضي الله عنه وغزواته يصف فيها مدينة تيهرت قائلاً: " صفة مدينة تيهرت على ما يذكر ابن القطان، قال هي مدينتان القديمة منها هي المذكورة... " ، ثم يعدد أبوابها ومميزاتها.⁽⁵⁾

وبالنسبة للمسائل الجغرافية لا يشير ابن عذاري مرة أخرى إلى ابن القطان لكن معظم اعتماده في هذا الأمر كان عليه بالإضافة إلى مؤرخين وجغرافيين آخرين، ويورد ابن عذاري عن أحداث الفتح العربي الإسلامي للمغرب أخباراً كثيرة يبدو أن قسماً منها من رواياته أخذها من ابن القطان، منها نص عن عقبة بن نافع في قوله " وقال ابن القطان في نظم الجمان: وأخبرت أن عقبة كان قدم مصر وعليها عمرو بن العاص...⁽⁶⁾ ، كما نهل منه أخباراً حول كل من غزوات عقبة بن نافع المغرب وغزوات موسى بن نصير إلى المغرب الأقصى.⁽⁷⁾

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 17.

(2) نفسه، ج1، ص 19.

(3) نفسه، ج1، ص 43.

(4) هو من مشاهير البربر، اسمه أبو علي حسين بن القطان الكنامي وهو على ما يعتقد الدكتور محمود علي مكي كان ابناً لعلي بن محمد بن عبد الملك بن القطان، وذلك استناداً إلى نص يشير فيه إلى أن نظم الجمان هو لابن القطان، من مؤلفاته التي جمعها لأبي حفص المرتضي الموحدي: شفاء الغلل، الأحكام لبيان آياته عليه السلام، المسموعات، المناجاة، وقد فقدت ولم تتطرق إليها بقية المصادر المعروفة لدينا، وكذلك فقد الجزء الأعظم من كتاب نظم الجمان أنظر: محمد المنوني: المرجع السابق، ج1، ص 67 و عبد الواحد ذنون طه: "موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن المرابطين والموحدين..."، ص 225-227.

(5) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 35.

(6) نفسه، ج1، ص 30.

(7) نفسه، ج1، ص 46.

ومما يدل على اعتماده الكبير على ابن القطان أيضا على سبيل المثال لا يذكر ابن عذاري مصادره عن الأحداث منذ حوادث سنة (64هـ/683م)، ولكن يقول في آخر كلامه " وغزوات حسان لم تضبط بتاريخ محقق ولا فتحه لمدينة قرطاجنة وتونس، ولا قتله للكاهنة وذكر ابن القطان أن عزل حسان وولاية موسى بن نصير كان من قبل عبد العزيز بن مروان .."(1) ، هذا النص بطبيعة الحال يحمل على الاعتقاد أن ابن القطان كان مصدرا لابن عذاري في كل الأحداث المذكورة من 64هـ/683م إلى غاية عزل موسى. (2)

كتب التواريخ الأندلسية

- كتاب العبر لابن أبي الفياض (3) (ت459هـ/1066م):

يبدو ظاهريا من النصوص المتوفرة لدينا أن هذا الكتاب اختص بتاريخ الأندلس، ولكنه يؤرخ للفتح الإسلامي لبلاد المغرب نقل عنه ابن عذاري في أثناء كلامه عن عقبة بن نافع الفهري وحملته على السوس الأقصى في قوله "وغزوته أيضا للسوس الأقصى فاجتمع به البربر في أمم لا تحصى... قال ذلك ابن أبي الفياض وغيره"(4)، وكذلك أحال إليه في حديثه عن نسب عقبة بن نافع (5)، مما يشير إلى أن كتاب "العبر" ربما تطرق ضمنيا إلى تاريخ العرب في بلاد المغرب إضافة إلى الأندلس، ورغم ذلك فإن ابن عذاري لم يذكر كتاب العبر لابن الفياض ضمن القائمة الطويلة التي أوردها حول المصادر التي اعتمد عليها في فاتحة كتابه. (6)

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 39.

(2) عبد الواحد ذنون طه: "موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن المرابطين والموحدين..."، ص 228.

(3) أحمد بن سعيد بن محمد أبي الفياض، ويعرف أيضا بابن الفشاء، أصله من الأندلس من مدينة إستجة، ولد في حدود (375 أو 386هـ/786 أو 990م) وعاش في مدينة المرية وتوفي (459هـ/1066م)، وابن أبي الفياض كتاب في التاريخ أشار إليه المؤرخون بأسماء عديدة، ذكره ابن حزم باسم العبر، بينما اكتفى ابن بشكوال بقوله له تأليف في الخبر والتاريخ، ويختص هذا الكتاب بالدرجة الأولى بتاريخ الأندلس. أنظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ابن الأبار(ت658هـ/1259م): الحلة السيرة، تح: حسين مؤنس، القاهرة، 1963، ج2، ص 312. و أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال(ت578هـ/1182م): الصلة، تح: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري؛ - بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1989، ج1، ص 107.

(4) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 27.

(5) نفسه، ج1، ص 19.

(6) نفسه، ج1، ص ص 3-4.

- تاريخ افريقية والأندلس لعريب بن سعد ⁽¹⁾ (ت380هـ/980م) :

هذا الكتاب اختصر فيه عريب بن سعد تاريخ الطبري فيما يتصل بأخبار المشرق من سنة 289هـ إلى 319هـ، واستدرك عليه وذيل ما بعده، مع إصلاحات وزيادات في تاريخ افريقية والأندلس ⁽²⁾، ومن نقول ابن عذاري عنه تلك الحملة التي وجهها عبد الملك بن مروان بقيادة معاوية بن خديج إلى مدينة جلولاء في قوله " ثم وجه ابن خديج عبد الملك بن مروان في ألف فارس إلى مدينة جلولاء .. هكذا نص عريب في مختصره للطبري " ⁽³⁾، وفي نص آخر عن غزوة عبد الله بن أبي سرح لافريقية في المرة الثانية ورد قوله " وفي سنة ثلاث وثلاثين كانت غزوة عبد الله بن أبي سرح افريقية مرة ثانية حين نقض أهلها العهد هكذا ذكر عريب في مختصره " ⁽⁴⁾.

كتب التاريخ المشرقية:

- تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ⁽⁵⁾ (ت310هـ/922م):

اعتمد ابن عذاري على الطبري في نصوص قليلة وبشكل مختصر أو يأتي على ذكر أخباره باختصار شديد في غالب الأحيان مع جملة الحوادث، ومن هذه النقول خبر توجيه الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه لعبد الله بن سعد بن أبي سرح لفتح افريقية ووصيته إليه بقوله " إن فتح الله عليك افريقية فلك مما أفاء الله على المسلمين خمس الخمس نفلاً... " ⁽⁶⁾، كما أورد نقلاً آخر عن الطبري في ذكره أحداث سنة خمس

(1) عريب بن سعد أو ابن سعيد، من مدينة قرطبة في الأندلس، كان أديباً شاعراً ومؤرخاً وعالماً بالنحو واللغة وطبياً ماهراً مهتماً بكتب الأطباء القدماء والمحدثين، فهو من العلماء الموسوعيين الذين ظهروا في القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي، له مؤلفات منها تاريخه الذي اختصره من تاريخ أبي جعفر الطبري و أخبار افريقية والأندلس. أنظر ابو عبد الله محمد ابن عبد الملك(ت703هـ/1303م): الدليل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: احسان عباس، بيروت: دار الثقافة، 1964، ج5، ص ص 141-142..

(2) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار، مصر: دار المعارف، د.ت، ج 3، ص38.

(3) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص ص 16-17.

(4) نفسه، ج1، ص 14 .

(5) ولد أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري الأملي، بآمل سنة (224هـ/838م) ، وكان محدثاً فقيهان مقرباً، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم. انظر: أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب بن النديم (ت380هـ/990م) : الفهرست، تح: رضا تجدد، د.ن، 1971، ص291؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج6، ص2441.

(6) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص13.

وأربعين للهجرة قائلًا " قال الطبري: وذلك أن جباحبة الرومي قدم على معاوية بن أبي سفيان فسأله أن يبعث معه جيشا إلى افريقية، فوجه معاوية بن خديج في عشرة آلاف مقاتل...". (1)

كتب التراجم الأندلسية:

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (2) (ت463هـ/1080م) :

يختص الكتاب هو أسماء الصحابة والتعريف بهم وتلخيص أحوالهم ومنازلهم وعين أخبارهم على حروف المعجم وهو في اثنا عشر جزءا(3)، والنص الوحيد الذي نقله عنه ابن عذاري يتعلق بفتح المغرب الأقصى في عهد عقبة بن نافع الفهري، وذلك في قوله " قال ابن عبد البر: فتح عقبة عامة بلاد البربر إلى أن بلغ طنجة وجمال هناك، ولا قاتله أحد ولا يعارضه حتى فتح كورة من كور السودان"(4)، وقد أخذ ابن عذاري هذا النص من الاستيعاب بتصريف، حيث لا يوجد في النص الأصلي ذكر لمدينة طنجة، وربما كان تحت تصرف ابن عذاري نسخة أخرى من الكتاب تحتوي على تفصيلات أكثر مما هو موجود في النسخ المطبوعة الحالية. (5)

- الصلة لابن بشكوال(6) (ت578هـ/1182م) :

وقد أخذ منه ابن عذاري روايات عن موسى بن نصير ونسبه، ولكن النسخة المتوفرة لدينا الآن من كتاب ابن بشكوال لا تتضمن ترجمة لموسى بن نصير مما يدل على أن ابن عذاري استخدم نسخة أخرى مفصلة، وأن النسخة المتداولة الآن من الكتاب هي اختصار لتلك النسخة. (7)

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص16.

(2) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، أبو عمر، فقيه حافظ مكثر ولد عام (362هـ/972م) وتوفي (460هـ/1067م) بشاطبة في بلاد الأندلس، وأهم كتبه الاستيعاب في معرفة الأصحاب. انظر: أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي (ت488هـ/1095م): *جدوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس*، الدار المصرية، القاهرة، 1966، ص ص 367-369.

(3) حاجي خليفة: *كشف الضنون عن أسامي الكتب والفنون*، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت، ج1، ص81.

(4) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص29.

(5) أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر (ت463هـ/1081م): *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*، تح: علي محمد البجاوي، القاهرة: مطبعة نخضة مصر، د.ت، ج3، ص ص 175-176.

(6) هو خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال بن يوسف بن داحة بن ذاكة بن نصر الأنصاري القرطبي المالكي، فقيه مؤرخ وتوفي سنة (578هـ/1182م). انظر: أبو عبد الله ابن الأبار (ت658هـ/1259م): *التكملة لكتاب الصلة*، مدريد: مطبعة روخس، 1826، ص58، وشمس الدين ابن خلكان (ت681هـ/1282م): *وفيات الأعيان*، تح: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، د.ت، ج2، ص240.

(7) عبد الواحد ذنون طه: "موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن المرابطين والموحدين..."، ص248.

كتب الجغرافيا:

- كتاب مسالك افريقية وممالكها للوراق⁽¹⁾ (ت 363هـ/973م):

هو كتاب ضخيم في مسالك افريقية وممالكها ألفه الوراق للحكم المستنصر، استفاد منه البكري استفادة كبيرة، وينقل ابن عذاري عن الوراق فيما يخص الفتح الإسلامي للمغرب في صفة طنجة في قوله "وقال الوراق: أن كورة طنجة هي مساكن صنهاجة الهبط بطريق الساحل مما يلي سبتة وبطون صنهاجة كثيرة..."⁽²⁾، ويبدو أن ابن عذاري اعتمد عليه فيما بعد في وصف عدة مناطق منها ذكر مدينة جراوة ومدينة تيهرت.⁽³⁾

- كتاب المسالك والممالك للبكري⁽⁴⁾ (ت 487هـ/1094م):

استفاد منه ابن عذاري في المسائل الجغرافية كاستقرار بعض القبائل البربرية بالمغرب، واهم وصف جغرافي له ضمن النصوص التي تخص الفتح الإسلامي لبلاد المغرب هي صفة طنجة في قوله " قيل عملها مسيرة شهر في شهر... هكذا ذكر البكري في كتابه"⁽⁵⁾، وينقل أيضا عن كتاب للبكري اسمه المجموع المفترق ولكنه ذكر مؤرخين آخرين أوردوا بعض الأخبار ضمنه مثل الرقيق ومؤرخ آخر يسميه النوفلي.⁽⁶⁾

- كتاب " المسالك " للإشبيلي :

لقد اعتمد ابن عذاري على كتاب يحمل عنوان المسالك وينسبه إلى رجل يسمى الاشبيلي، في روايته لأعمال عقبة بن نافع في ولايته الثانية حيث قال " وقال الاشبيلي في كتابه المسالك له: أن المسجد الذي على وادي نفيس، بناه عقبة، رضي الله عنه -قال أبو علي ثم سار عقبة من إيجلي ... ".⁽⁷⁾

(1) هو أبي عبد الله محمد بن يوسف بن عبد الله الوراق القروي، أصله من وادي الحجارة في الأندلس، وانتقل آباءه إلى افريقية ونشأ بالقيروان حيث ولد فيها سنة (292هـ/904م) ودخل الأندلس دولة الحكم المستنصر، وتوفي بقرطبة سنة (363هـ/973م) من تأليفه: أخبار ملوك افريقية وحروهم والغالبين عليهم. وكتاب مسالك افريقية وممالكها. انظر ابن الأبار: التكملة، ص 367.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، ج 1، ص 26.

(3) نفسه، ج 1، ص 196.

(4) هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، جغرافي وموسوعي وأديب مؤرخ ولد بولبة قرب اشبيلية سنة (405هـ/1014م)، وتوفي فيها سنة (487هـ/1094م)، والبكري من أشهر الجغرافيين في الأندلس، له عدة كتب منها كتاب معجم ما استعجم، لكن يعد كتاب المسالك والممالك قمة أعمال البكري في مجال المؤلفات الجغرافية. انظر: ابن بشكوال: الصلة، ج 2، ص 287.

(5) ابن عذاري: المصدر السابق، ج 1، ص 26.

(6) عبد الواحد ذنون طه: "موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن المرابطين والموحدين..."، ص 254.

(7) ابن عذاري: المصدر السابق، ج 1، ص 27.

الكتب الأدبية:

- الإمامة والسياسة لابن قتيبة⁽¹⁾ (ت 276هـ/889م):

نقل عنه ابن عذاري نصا واحدا يتعلق بفتح موسى بن نصير لمنطقة سجومة بالقرب من وادي ملوية بالمغرب يقول فيه " قال بن قتيبة: فتح موسى بن نصير سجومة وقتل ملوكها وأمر أولاد عقبة عياضا وعثمان وأبا عبده أن يأخذوا حقهم من قاتل أبيهم فقتل أهل سجومة ستمائة رجل..."⁽²⁾ ، وبمقارنة هذا النص مع ما ورد في كتاب الإمامة والسياسة يتبين أن النص فيه تفصيل لما ذكره ابن عذاري .⁽³⁾

الروايات الشفوية:

والى جانب المصادر المكتوبة اعتمد ابن عذاري كذلك على الروايات الشفوية، وأشار في مقدمة كتابه إلى ذلك بقوله: "ومن الشيوخ الذين أخذت عنهم بتحقيق"، ولكن اعتماده هذا كان على نطاق ضيق فيما يخص الفتح الإسلامي لبلاد المغرب⁽⁴⁾، وربما يعود ذلك إلى إدراكه ووعيه بالفواصل الزمنية السحيق بين عصره وزمن الفتوح، ومن بين هذه الروايات الشفوية يقدم لنا ابن عذاري معلومات دقيقة عن حملة عقبة بن نافع الفهري على المغرب الأقصى ووادي السوس، ويستشهد في هذه المعلومات بشيخ من أهل مراكش معاصر له يسميه بالشيخ الصالح أبي علي صالح بن أبي صالح.⁽⁵⁾

وهذا النص الذي يتعلق بحملة عقبة بن نافع الفهري على المغرب الأقصى ووادي السوس يقول فيه "اخبرني الشيخ الصالح أبو علي صالح بن أبي صالح انه لم يصح عنده أن عقبة رضي الله عنه حضر ببيان شيء من المساجد بالمغرب إلا مسجد القيروان..."⁽⁶⁾ ، ومن الجدير بالذكر أن أحد أبناء الشيخ الصالح أبو علي

(1) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي وسمي الدينوري لأنه قاضي الدينور، توفي سنة (276هـ/889م) الذي كان من أئمة الأدب والتاريخ والنحو والشعر والفقه، ومن تصانيفه أدب الكاتب، المعارف، عيون الأخبار، الشعر والشعراء. انظر ابن النديم: الفهرست، ص 115-116.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق ، ج1، ص 41.

(3) عبد الواحد ذنون طه: "موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن المرابطين والموحدين..."، ص 260.

(4) نفسه، ص 261.

(5) هو الشيخ الصالح أبو علي صالح بن أبي صالح عبد الحليم، الايلائي المصمودي، نزيل مدينة نفيس بالقرب من مراكش، وكان ما يزال على قيد الحياة سنة 712هـ/1312م، اشتهر بالعلم والعبادة والعفاف الفقيه العالم التاريخي الولي الزاهد الورع، نزيل النفس، ذكره صاحب مفاخر البربر من أهل عصره، وتوفي سنة (726هـ/1325م). ومن مصنفاته: اتجاه قبلة الصلاة بالمغرب، وكتاب الأنساب. أنظر: مؤلف مجهول: مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط1، الرباط: دار أبي رراق للطباعة والنشر، 2005. ص 171.

(6) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 27-28.

صالح ويدعى عبيد الله بن صالح كتب نصا عن فتح العرب للمغرب نشره المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال فيه تشابه مع الرواية التي يقدمها ابن عذاري عن الفتح العربي للمغرب، لا سيما أعمال عقبة بن نافع في المغرب الأقصى، والسبب في ذلك يعود إلى أن مورد أخبارهما واحد وهو والد عبيد الله بن صالح.¹

ب- مصادر ابن خلدون في الفتح الإسلامي للمغرب

أما فيما يخص المصادر التي اعتمدها ابن خلدون في الفتح الإسلامي لبلاد المغرب فقد وردت متفرقة ضمن كتابه "العبر" والباحث فيها يجد صعوبة في حصرها حصرا دقيقا نظرا لأن ابن خلدون يورد أخباره عن الفتح متفرقة في أجزاء كتابه العبر في كتب ومواضيع فصول مختلفة، كما أنه لا يشير كثيرا إلى المصادر التي استقى منها أخبار الفتح الإسلامي للمغرب²، ويمكن الملاحظة أن ابن خلدون كان على الأغلب حريصا اشد الحرص على ذكر مصادره وتوثيق مادته والأمثلة على ذلك كثيرة في مختلف أجزاء العبر، أما عن أخبار الفتح فنلاحظ قلة إشارته إلى موارد معلومتها، فهو لا يبدأ بذكر موارده عن الفتح إلا في الجزء السادس، أما قبلها في أخبار الفاتحين في الجزء الرابع فلا يورد ذكرا لأي مصدر، لعل ذلك راجع إلى أن ابن خلدون كان يكتب كتابه العبر من ما وعته ذاكرته وما دونه في مذكراته، إضافة إلى القليل من المراجع المتوفرة له، في أول أجزاءه، ليتبعه لاحقا بتنقيح، ومرد ذلك إلى تنقله الدائم بين الأقطار أثناء كتابة تاريخه، ومن المصادر المغربية والمشرقية والأندلسية التي اعتمدها:

كتب التاريخ المغربية:

- تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق القيرواني (ت 420هـ/1029م):

اعتبر عبد الرحمن بن خلدون الرقيق القيرواني من كبار مؤرخي المغرب وإفريقية في قوله: "وابن الرقيق مؤرخ إفريقية والدولة التي كانت بالقيروان ثم لم يأت من بعد هؤلاء إلا مقلد..."، ويعتمد ابن خلدون عليه في ذكر أخبار البربر على الجملة قبل الفتح الإسلامي ومن بعده إلى ولاية بني الأغلب، حيث يذكره باسمه دون ذكر كتابه، وقد أخذ عنه بالضبط ما يتعلق بفتح موسى بن نصير لسقوما ومراسلته الوليد بن عبد الملك مخبرا إياه بما صار له من سببها، قائلا "نقل ابن أبي الرقيق إن موسى بن نصير لما فتح سقوما كتب إلى الوليد بن

⁽¹⁾ عبد الواحد ذنون طه: "مصادر تاريخ ابن عذاري المراكشي عن المرابطين والموحدين..."، ص 262.

⁽²⁾ حسين عاصي: المرجع السابق، ص 125.

عبد الملك أنه صار له من سبي سقوما مائة ألف رأس... فقد غزتهم ملوك اليمن من قرارهم مرارا على ما ذكر مؤرخوهم فاستكانوا لغلبهم ودانوا بدينهم".¹

- كتاب الجامع في السنن والمغازي والتاريخ لمحمد بن أبي زيد القيرواني⁽²⁾ (ت 386هـ)

ينقل ابن خلدون عن محمد بن أبي يزيد أخبار هامة عن الفتح تتعلق بردة البربر بعد الفتح الإسلامي للمغرب، وذلك في موضعين من كتابه العبر ذكرا اسمه دون الإشارة لكتابه، حيث يقول: "قال ابن أبي زيد إن البربر ارتدوا بأفريقية المغرب اثني عشرة مرة، وزحفوا في كلها للمسلمين ولم يثبت استسلامهم إلا في أيام موسى بن نصير وقيل بعدها..."⁽³⁾، ثم يرجع ويذكره مرة أخرى في حديثه عن ارتداد البربر كذلك في قوله: "وذكر أبو محمد بن أبي زيد: إن البربر ارتدوا اثني عشرة مرة من طرابلس إلى طنجة، ولم يستقر إسلامهم حتى أجاز طارق وموسى بن نصير إلى الأندلس..."⁽⁴⁾.

كتب تاريخ مشرقية:

- تاريخ الرسل والملوك للطبري (ت 310هـ/922م):

لم ينل المغرب وأخباره من عناية الطبري إلا جانبا يسيرا جدا⁽⁵⁾، وقد اعتمد ابن خلدون عليه اعتمادا كبيرا في كتابه، وان كان هذا الاعتماد يتفاوت من حيث الكثافة من مرحلة تاريخية إلى أخرى، فمن المواضيع التي ذكره فيها ابن خلدون عند حديثه عن بربر بن قيس قوله "قال الطبري: خرج بربر بن قيس ينشد ضالة بأحياء البربر وهي جارية وتزوجها فولدت"⁽⁶⁾، ولربما اعتمد ابن خلدون على الطبري أخبار الخلفاء وما تضمنته من أحداث الفتح الإسلامي الأول للمغرب والتي ذكرنا خلوها من أي إشارة إلى مصادر، ما قادي إلى الاعتقاد بذلك أنه يورد لاحقا جملة قائلا فيها "وهذا آخر الكلام في الخلافة الإسلامية وما كان فيها من الردة

⁽¹⁾ ابن خلدون: العبر، ج6، ص 139.

⁽²⁾ هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي القيرواني، ولد بالقيروان سنة 310هـ عاش في القرن الهجري الرابع وعاصر الدولة الفاطمية، كان من أهل الصلاح والورع والفضل، كان متفنا في علوم كثيرة منها علوم القراءات وتفسير القرآن وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان التصنيف مجالا بذل فيه أبي زيد جانبا كبيرا، منها في الفقه والأصول والزهد و الرقائق، ويعتبر كتابه الجامع من أهم الكتب التاريخية. انظر: أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني(ت:386هـ/922م): كتاب الجامع في السنن والمغازي والتاريخ، تح: محمد أبو الأجنان و عثمان بطيخ، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة؛ تونس: المكتبة العتيقة، 1983، ص ص 15-20.

⁽³⁾ ابن خلدون: العبر، ج6، ص 135.

⁽⁴⁾ نفسه، ج6، ص 144.

⁽⁵⁾ حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص304.

⁽⁶⁾ ابن خلدون: العبر، ج6، ص 124.

والفتوحات والحروب ثم الاتفاق والجماعة، أوردتها ملخصة عيونها ومجامعها من كتاب محمد بن جرير الطبري وهو تاريخه الكبير، فإنه أوثق ما رأيناه في ذلك". (1)

كتب الأنساب:

- جمهرة انساب العرب ابن حزم الأندلسي (2) (ت1063/456م) :

وهو كتاب في انساب القبائل العربية الثلاثة عدنان وقحطان وقضاة وألحق به ذيولا من بينها جمهرة نسب العرب والبربر وبيوتاتهم بالأندلس ، وقد اعتمد ابن حزم على مؤرخين متقدمين هما الطبري والمسعودي ، وعلى علماء انساب رواد مثل ابن الكلبي. (3)

وعليه اعتمده في تحقيق نسب البربر في كتابه الثالث عن أخبار البربر في مثل قوله " فذكر ابن حزم عن أيوب عن بن أبي يزيد صاحب الحمار أنهما لأب واحد...". (4)، لكنه يشير إلى اسم كتابه في المقدمة وعدة مواضع أخرى من كتابه العبر في مثل قوله عن نسب زناته " أما شانا فقال أبو محمد بن حزم في كتاب الجمهرة قال بعضهم هو جانا بن يحيى بن صولات...". (5) كما أنه نقل عنه في مواضع عديدة فيما يخص نسب البربر وهو المصدر الأكثر ثقة عنده إذ أنه عند اختلاف الروايات فإنه غالبا يرجح رواية ابن حزم ويعتبره إمام هذا العلم ومن ذلك قوله : " وهذا أصح ما ينقل في هذا لأن ابن حزم موثوق ولا يعدل به غيره" (6)، وفي موضع آخر "وربما نقل ذلك عن أيوب بن أبي يزيد ، إلا أن رواية ابن حزم اصح لأنه أوثق". (7)

(1) ابن خلدون: العبر، ج2، ص 620 .

(2) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ابو محمد الفارسي ثم القرطبي كان فقيها حافظا يستنبط الاحكام من الكتاب والسنة، توفي سنة (456هـ/1063م). انظر: الزركلي: الأعلام، ج1، ص254.

(3) عبد الواحد ذنون طه: "موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن المرابطين والموحدين..."، ص245.

(4) ابن خلدون: العبر، ج6، ص 116.

(5) نفسه، ج7، ص4.

(6) نفسه، ج7، ص ص 7-8.

(7) نفسه، ج6، ص117.

- كتاب الأنساب لأبي المنذر هشام بن محمد الكلبي⁽¹⁾ (ت204هـ/819م):

يذكر ابن خلدون ابن محمد الكلبي في الفصل الرابع في ذكر أخبار البربر على الجملة من الفتح الإسلامي ومن بعده وبالضبط ما يتعلق بحمير حيث يقول ابن خلدون: "ذكر ابن الكلبي أن حميرا أبا لقبائل اليمانية ، ملك المغرب مائة سنة وأنه الذي ابنتى مدائنه مثل افريقية وصقلية"⁽²⁾ ،

- كتاب التمهيد في الأنساب لأبي عمر بن عبد البر (ت:1015/406م):

ينقل ابن خلدون عن كتاب ابن عبد البر كثيرا فيما يخص الأنساب ويقارنه أحيانا بروايات النسابة البربر وروايات ابن حزم في كتاب الجمهرة، ومن أمثلة ما أخذه عنه قوله "وقال أبو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد في الأنساب: اختلف الناس في انساب البربر اختلافا كثيرا.." ⁽³⁾، ومن بين ما نقله عنه قوله "وأما رأي نسابة زناتة أنهم من حمير فقد أنكره الحافظان أبو عمر بن عبد البر وأبو محمد بن حزم وقالوا ما كان لحمير طريق إلى بلاد البربر إلا في أكاذيب مؤرخي اليمن..." ⁽⁴⁾.

- النسابة البربر:

عندما يتحدث ابن خلدون عن انساب البربر فإنه يستفيد من نسابة البربر المشهورين، من باب ميله الكبير إلى استخدام مصادر متخصصة في سرد أحداثه التاريخية، كما أنه أشار إلى بعضهم في سرد بعض روايات الفتح، وعلى ما يبدو أن هؤلاء النسابة كتبوا حيث يؤكد ذلك قوله: "وعند نسابة البربر مثل سابق بن سليمان المطمطي وهانئ بن يصدور، والكومي، وكهلان بن أبي لواء، وهو مسطر في كتبهم..." ⁽⁵⁾ وهؤلاء النسابة الذين ذكرهم هم :

- سابق بن سليمان المطمطي: وهو أحد نسابة البربر المغاربة ، غالبا ما يردف ابن خلدون

اسمه مع ثلاثة نسابة آخرين ذكرا أسمائهم في قوله مثلا "وقال هانئ بن بكور الضريسي وسابق بن سليمان

(1) هو هشام بن محمد أي النضر بن السائب ابن بشر الكلبي أبو المنذر، مؤرخ عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها كأيها، كثير التصانيف من أهل الكوفة ووفاته فيها، له نيف ومائة وخمسون كتابا منها جمهرة الأنساب. أنظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، ص ص 87-88.

(2) ابن خلدون: العبر، ج6، ص ص 139-140.

(3) نفسه، ج6، ص 126.

(4) نفسه، ج7، ص 6.

(5) نفسه، ج7، ص8.

المطماطي وكهلان بن أبي لؤي وأيوب بن أبي يزيد وغيرهم من نسابة البربر أن البربر فرقتان...⁽¹⁾ ، وأحيانا يورد اسمه منفردا في قوله " وقال سابق وأصحابه...⁽²⁾ .

- **هانيء بن بكور الضريسي** : كان معتمد ابن خلدون مع من ذكرت سابقا في إثبات نسب البربر، لكن ما افرد به ابن خلدون هو اعتماده كمورد عن أخبار الفتح بالضبط في الخبر عن الكاهنة وقومها جراوة من زناتة وشأنهم مع المسلمين عند الفتح وذلك في قوله " قال هانيء بن بكور الضريسي : ملكت عليهم خمسا وثلاثين سنة وعاشت مائة وسبعا وعشرين سنة، وكان قتل عقبة بن نافع في البسيط قبلة جبل أوراس بإغرائها...⁽³⁾ .

- **كهلان بن أبي لوا**: هو من النسابة البربر الذين أشار إليهم ابن خلدون في حديثه عن نسب البربر، فهو يورده أحيانا تحت اسم كهلان بن أبي لوا في مثل قوله: " وعند نسابة البربر مثل سابق بن سليمان المطماطي هانيء بن يصدور، والكومي، وكهلان بن أبي لوا...⁽⁴⁾ ، وأحيان يذكره تحت اسم كهلان بن أبي لؤي في مثل قوله: " وقال هانيء بن بكور الضريسي وسابق بن سليمان المطماطي وكهلان بن أبي لؤي...⁽⁵⁾ ، وقد نقل عنه ابن خلدون في نسب البربر من زناتة وكذا في فرق البربر، وغالبا ما يردفه بأسماء أصحابه من النسابة البربر الذين ذكرت أسمائهم سابقا .

- **أيوب بن أبي يزيد**: لا يذكره ابن خلدون غالبا مع فرقة النسابة التي اعتمدها، فهو يشير إليه في حديثه عن فرق البربر من البتر والبرانس في قوله: " وقال هانيء بن بكور الضريسي وسابق بن سليمان المطماطي وكهلان بن أبي لؤي وأيوب بن أبي يزيد وغيرهم من نسابة البربر...⁽⁶⁾ ، كما ينقل ابن خلدون قول أبو محمد بن حزم في كتاب الجمهرة نقلا عن يوسف الوراق عن أيوب بن أبي يزيد وذلك في قوله " وقال أيضا في كتاب الجمهرة ذكر لي يوسف الوراق عن أيوب بن أبي يزيد...⁽⁷⁾ .

(1) ابن خلدون: العبر، ج6، ص124 .

(2) نفسه، ج6، ص120.

(3) نفسه، ج7، ص ص 12-13.

(4) نفسه، ج7، ص8.

(5) نفسه، ج6، ص124.

(6) نفسه، ج6، ص124.

(7) نفسه، ج7، ص4.

كتب الجغرافيا:

اعتمد ابن خلدون في الجغرافيا على مؤلفات من يعتبرهم أئمة هذا العلم مثل بطليموس، واسحق بن الحسن، وأبي جعفر الخازني، ويشير بشكل خاص إلى اعتماده على كتاب الإدريسي نزهة المشتاق، كما استفاد من المسعودي والبكري في المسالك والممالك، لكن يبدو في ما يخص الفتح أنه اعتمد بشكل كبير على البكري، الذي اعتمد بدوره على محمد بن يوسف الوراق وكتابه المسالك والممالك. (1)

- دليل جغرافية بطليموس:

يعتمد ابن خلدون على بطليموس اعتمادا كبيرا في وصف جغرافية المغرب وصفا دقيقا، فهو يذكره في الفصل الخاص بمواطن البربر بافريقية والمغرب على انه من أهل الجغرافيا المعتنين بمعرفة هيئة الأرض وقسمتها في قوله: "وعرف أهل الجغرافيا المعتنين بمعرفة هيئة الأرض وقسمتها بأقاليمها ومعمورها وخرابها وجبالها وبحارها ومساكن أهلها مثل بطليموس ورجاوز...". (2)

لقد استمر ابن خلدون في هذه النقول من كتاب بطليموس طويلا في وصف كل مواطن البربر في المغرب الأقصى والأوسط وافريقية مع ذكر تفاصيل كل ناحية وما يقطنها من قبائل بربرية، وعلى ما يبدو أن بطليموس قد نقل بعض أخبار الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وذلك في خضم وصفه لجغرافية المغرب وقد نقلها عنه ابن خلدون بدوره ويظهر ذلك في مثل قوله "ثم فزان وودان قبلة طرابلس قصور متعددة ذات نخل وانهار وهي أول ما افتتح المسلمون من ارض افريقية لما اغزاها عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص". (3)

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي (4) (ت 560هـ/1166م):

ألفه الإدريسي للملك النورماندي روجر الثاني وسماه باسمه، فصار يعرف أيضا باسم "الكتاب الرجاري" أو "كتاب رجار" (5)، ويشير إليه ابن خلدون بهذا الاسم قائلا "وصاحب صقلية المنسوب له الكتاب المشهور بين الناس"، وقد اعتمد عليه مثل مثيله بطليموس في ذكر مواطن البربر بافريقية، حيث

(1) خلدون سليم الحباشنة: المرجع السابق، ص 64.

(2) ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 128.

(3) نفسه، ج 6، ص 132.

(4) هو محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس بن يحيى بن علي بن محمود، نشأ في أصحاب رجار الفرنجي صاحب صقلية، كان أدبيا شاعرا مغذى بعلم الجغرافيا، ولد سنة (473هـ/1080م)، وتوفي سنة (560هـ/1164م). انظر: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت 764هـ/1362م): الوافي بالوفيات، تح: أحمد الارناؤوط و تركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2000، ج 1، ص 138.

(5) عبد الواحد ذنون طه: "موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن المرابطين والموحدين..."، ص 256.

يذكر ابن خلدون عنه قائلاً: " وعرف أهل الجغرافيا المعتنين بمعرفة هيئة الأرض بأقاليمها ومعمورها وخراجها وجبالها وبحارها ومسكن أهلها مثل بطليموس وروجار صاحب صقلية المنسوب له الكتاب المشهور بين الناس لهذا العهد في هيئة الأرض والبلدان وأمثالهم...".⁽¹⁾

3- مقارنة في مصادرهما (التنوع والتوظيف)

بعد عرضنا للمادة المصدرية التي اعتمد عليها كل من ابن عذاري المراكشي وعبد الرحمن ابن خلدون نلاحظ أن كلا المؤرخين قد تنوعت مصادرهما عن الفتح الإسلامي للمغرب، جاء هذا التنوع من حيث تخصص هذه المصادر ما بين كتب حوليات تاريخية وكتب تراجم وكتب انساب وكتب جغرافيا وروايات شفوية، ومن حيث المجال الجغرافي ما بين كتب مغربية وكتب مشرقية وكتب أندلسية، ولكن الباحث عميقا في هذه النصوص يلحظ تفاوتاً في حجم استخدام هذه المصادر ومدى مراعاة المؤرخين لتخصصها في النصوص المستخدمة وقربها الزماني والمكاني، مما يسهم في تكوين ملامح نص تاريخي عن الفتح الإسلامي للمغرب مختلف لدى كل منهما.⁽²⁾

نلاحظ اشتراك ابن خلدون وابن عذاري في بعض المصادر واختلافهما في مصادر أخرى، ومن المصادر المشتركة نذكر: كتاب تاريخ افريقية للريق القيرواني، وكتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، وكتاب المسالك والممالك للبكري، بينما يتميز كلاهما عن الآخر بمصادر أخرى، هذا التنوع معكوس على مكونات نص الفتح لديهما، فقد حوت هذه النصوص على ترجمات للفتوح ونسبهم، وتعريفها بمناطق الفتح جغرافيا، ووصفا لسكان المغرب الإسلامي، وذكرنا لأحداث الفتح العسكرية، لعل هذه التركيبة المتنوعة للحدث التاريخي أوسع من وصف السابقين لهما من المؤرخين الذين تطرقوا لقضايا الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، هذا ما يعطي روايتهما حول الفتوح أهمية كبيرة، فقد كان بين أيديهما مصادر وأصول ضاع الكثير منها مما أدى إلى استحالة وصولنا إليها.

أما لو انتقلنا للمقارنة في كثرة التفاصيل المنقولة من المصادر ودقتها لدى كل منهما فالفرق واضح، إن رواية ابن عذاري أكثر تفصيلا من رواية ابن خلدون وأكثر دقة، فهي تكاد -رواية ابن عذاري- تلي رواية

(1) ابن خلدون: العبر، ج6، ص 128.

(2) نسمع كثيرا عن تقدم المنهج التاريخي، لكن ماذا يعني هذا التقدم؟، يعني أولا تعدد أنواع الوثائق إذ لم يعد المؤرخ يعتمد على الوثيقة الرسمية المكتوبة فقط، ثانيا تحول في تعريف الحدث التاريخي: لم يعد ينصب اهتمام المؤرخ على وقائع معينة مثل تأسيس دولة أو هزيمة عسكرية أو بناء قصر، ثالثا توسعا في ممارسة النقد الذي لم يعد يتلخص في التحقيق اللغوي والزمني فقط .

ابن الأثير في كثرة التفاصيل ووفرة المادة، ذلك راجع لما انتهجه ابن عذاري في سرد هاته الأحداث مرتبة زمنياً، عكس ابن خلدون الذي أورد أخبار الفتح متفرقة في كتابه العبر بين أجزاءه وفصوله، فأحياناً يوردها في حديثه عن الخلفاء وأحياناً يوردها في ذكر أخبار البربر، ويمكن اعتبار هذا الفرق سبباً في تمكن ابن عذاري من إيراد تفاصيل كثيرة متتالية عن أحداث الفتح الإسلامي للمغرب عكس ابن خلدون الذي ينتقل بين المواضيع ويذكر أخبار هذا الفتح مبعثرة في كتابه، ربما هذا راجع أن كتاب العبر جاء مرتباً حسب الموضوعات، كما يقول حسين مؤنس أن ابن خلدون قد أخطأ فيما أورد من التواريخ أخطاء كثيرة ربما كان بعضها خطأ من الناسخين ولكن الراجح أن ابن خلدون مسؤل عن كثير منها وربما كان سبب ذلك أنه لم يعن كثيراً بأخبار الفتح الأول.⁽¹⁾

ولا نزاع في أن ابن عذاري أورد أخباراً كثيرة عن الفتح الإسلامي للمغرب حيث انه اعتمد اعتماداً تاماً على إبراهيم ابن أبي الرقيق أخذ عنه معظم أخباره عن الفتح، غير أننا لا نرى أهمية كتاب البيان المغرب تنحصر في ذلك فقط كما ذكر الأستاذ رينيه باسيه في دائرة المعارف الإسلامية، وإنما ينفرد ابن عذاري بأخبار لها أهميتها استقها من مراجع أخرى يغلب الضن على أنها مغربية، كتبها نفر من أهل البلاد، ومثال ذلك التفاصيل الوافية التي أوردتها عن موقعة سبيلطة، وهي تفاصيل لا يشوبها إلا القليل من القصص، وتصور لنا الواقعة تصويراً دقيقاً لا يضفر به عند غيره من المؤرخين.⁽²⁾

إننا نعلم إن ابن خلدون في مقدمته الشهيرة أشار إلى عدد كبير من الكتب والمصادر التي اطلع عليها وأخذ منها حيث بلغت أكثر من مئة مصدر تاريخي أخذ عنه، كما كان لتجربته الشخصية وتحواله في الأندلس والمغرب ومصر والشام وتقلده لمناصب مرموقة دور كبير في إثراء معرفته التاريخية وإطلاعه على تفاصيل الأحداث وكيفية تطورها.⁽³⁾

وعند التدقيق في نوعية المصادر المعتمدة لدى كل منها من حيث قربها الزماني والمكاني لأحداث الفتح الأول، فيتضح أن مصادر ابن خلدون أقرب زمنياً وجغرافياً للفتح من مصادر ابن عذاري، كما قدم ابن خلدون تحليلاً متميزاً لمصادره المعتمدة، فهو يمحس في الروايات التي نقلها والأخبار تمحيصاً دقيقاً في مثل قوله "ونقلت الأخبار عن العرب كما هي فجرجير المقتول عند الفتح من الفرنج وليس من الروم، وكذا الأمة

(1) حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص 308.

(2) نفسه، ص 308.

(3) خلدون خليل سليم الحباشنة: المرجع السابق، ص 55.

الذين كانوا بافريقية غالبين على البربر ونازليين بمدنها وحصونها إنما كانوا من الفرنجة"، هذا سيعطي لأخبار الفتح في الأخير مصداقية أكثر ووصفا موضوعيا متميزا⁽¹⁾، بينما نقول ابن عذاري عن المصادر مباشرة في الغالب ودون تصرف في المعنى، فكتابه عبارة عن نص خام بحاجة إلى من يستنطقه ويحفر فيه، على ما قاله حسين مؤنس " إن صاحبه ألفه من قطع جمعها من الأصول، وربط بينها ربطا زمنيا وأوردها كما هي دون تعليق، ولكنه قام بعمله في صدق وأمانة ولهذا فنحن ندرج كتابه بين الأصول".⁽²⁾

أما فيما يخص اعتماد ابن خلدون على مصادر في الفتح فقد تفاوتت بحسب طبيعة الموضوعات وما تقدمه تلك المصادر من المعلومات التي تغنيه عن المزيد من المصادر الأخرى، وهناك مصادر أخرى ينقل عنها بنسب قليلة، لكن الأكيد أن ابن خلدون اعتمد في الأغلب على مصادر أساسية لها علاقة مباشرة بموضوع البحث ومن منابعها الأصلية، فكما ذكرنا سابقا عند حديثه عن مواطن البربر فقد اعتمد على كتابي الجغرافيين بطليموس والشريف الإدريسي في ذكر مواطن هؤلاء البربر وأطال استخدامهما.⁽³⁾

كما يعتمد عند تناوله موضوع نسب البربر على أمهات الكتب المؤلفة في النسب، مثل أبي المنذر هشام بن محمد الكلبي في كتابه الأنساب، كما يستفيد من نسابة البربر المشهورين مثل سابق بن سليمان المطماطي وهانئ بن صدور الكومي وكهلان بن أبي لواء، فهو يقدم معلومات تتعلق بأنساب البربر وأصولهم وتفرعاتهم ينفرد بها وتعد غاية في الدقة والموضوعية استند في الكثير منها إلى مشاهداته ومقابلاته مع الكثير من أصحاب الخبرة في هذه الأمور، ويقارن ويقابل هذه الروايات بدقة متناهية بأسلوب علمي.⁽⁴⁾

إذاً جاءت نصوص كل من ابن عذاري وابن خلدون متقاربة من حيث تنوع محتواها على حسب تنوع المصادر المعتمدة؛ ، لكن يبقى الفرق في أن ابن عذاري أورد نصوصا طويلة عن الفتح مقتبسة من كتب سابقه تحمل تفاصيل دقيقة جدا، بينما ابن خلدون قد اعتمد الاختصار وإعمال أسلوبه الخاص في سرد الأحداث بلغة بليغة مركزا على عناصر معينة، بالإضافة إلى أنه يعقد مقارنات بين هذه المصادر عكس ابن عذاري الذي يورد ما جاء في هذه المصادر دون مقارنات أو ترجيحات، وستحدث عن هذا معمقا في المقارنة بين منهجها في التوثيق لقضايا الفتح ليتضح الفرق جليا.

(1) ابن خلدون : العبر، ج6، ص 140.

(2) عبلة عماري: المرجع السابق، ص35.

(3) ابن خلدون: العبر، ج6، ص 128.

(4) خلدون خليل سليم الحباشة: المرجع السابق، ص 65.

الفصل الرابع:

منهج ابن عذاري وابن خلدون في كتابة تاريخ

الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

- 1- طريقتهما في التوثيق
- 2- أسلوبهما في التنظيم
- 3- الضبط والإحصاء
 - أ- الضبط الزمني
 - ب- الضبط الإحصائي
- 4- أسلوبهما في كتابة تاريخ الفتح
 - أ- الأسلوب الأدبي
 - ب- الاختصار والنقد

منهج ابن عذاري وابن خلدون في كتابة تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

قبل المضي قدما في دراسة منهج الكتابة التاريخية لدى ابن خلدون وابن عذاري المراكشي في تدوين قضايا الفتح الإسلامي للمغرب، وجب توضيح المقصود بمنهج الكتابة التاريخية، فماذا يعني هذا المنهج؟ حسب مفهومي البسيط فالمنهج في الكتابة يشمل أولا أنواع الوثائق المستخدمة في التوثيق، ثانيا أسلوب التوثيق وتنظيم المادة، ثالثا مدى إعمال النقد والتحقيق في المتن والسند، فالمؤرخ لا يعرف بالموضوع المدروس بل بتلك العملية التي نعتها ابن خلدون بالنظر والتحقيق⁽¹⁾، أما رابعا وأخيرا أسلوب الكتابة وطرح المادة، فالعنصرين الأولين يدخلان في مفهوم المؤرخ للتاريخ، والعنصرين الأخيرين يدخلان في شخصية المؤرخ وتكوينه العلمي.

1- طريقتهما في التوثيق:

وسنبداً بابن عذاري المراكشي، ففيما ذكرنا سابقا أنه أورد طائفة من مصادره في فاتحة كتابه⁽²⁾، وأخرى ذكرها في متن الكتاب، فإن مزاياه ذكره في معظم الأحوال المظان التي اعتمدها، ويحيل الروايات التي أوردتها إلى أصحابها، لكن هذه الإشارات تبدو في بعض الحالات مبتورة أو ناقصة، كأن يشير إلى المؤلف بلقبه فقط أو بكنيته، أو باسم أبيه، أو بنسبته إلى مدينته، أو بالكلمة الأولى من اسم كتابه، ربما كانت هذه الإحالات واضحة لمعاصري ابن عذاري أو المؤرخين من بعده بفترة وجيزة، لتوفر مؤلفاتهم آنذاك واشتهار أصحابها بين المثقفين، لكن بعد مضي مئات السنين، وفقدان مؤلفات العديد من هؤلاء، أصبحت ألقابهم غريبة علينا، ويصعب التوصل إلى معرفة أسمائهم الأصلية، لا سيما وأنا لا نجد لهم ذكرا في كتب التراجم، ولا نجد لمؤلفاتهم أثرا في فهارس الكتب المعتمدة التي وصلتنا.⁽³⁾

ومن بعض أمثلة طريقة ابن عذاري في الإشارة إلى موارده نذكر قوله " قال الطبري : كان عثمان رحمه الله"⁽⁴⁾، و قوله " قال أبو مروان في كتابه المقباس وابن حمادة في كتاب القبس"⁽⁵⁾، ومن جهة أخرى

(1) عبد الله العروي: مفهوم التاريخ - الألفاظ والمذاهب المفاهيم والأصول -، ط4، المغرب - الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005، ص45.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، ص ص 2-3.

(3) عبد الواحد ذنون طه: "موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن المرابطين والموحدين..."، ص 215.

(4) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 12.

(5) نفسه، ج1، ص5.

يضعنا ابن عذاري في مواقف لا نستطيع التعرف فيها بوضوح على مصادر بعض أخباره ورواياته، فيتركنا في حيرة فلا يميلنا إلى مصدر أخذه للخبر مستخدماً بذلك عبارات دالة كأن يقول على سبيل المثال: " ذكر أهل العلم بافريقية"، أو "قال بعض المؤرخين"⁽¹⁾، ولكن من حسن الحظ لا يكثر ابن عذاري السير بهذا الاتجاه، ولا تتكرر هذه العبارات إلا في أماكن محدودة جداً من تأليفه الكبير عموماً ونصوص الفتح خصوصاً.

كما يختلف موضع ذكر ابن عذاري لمصادره، فأحياناً يوردها في بداية الحولية أو الخبر كمثل ما ذكره من أخبار معاوية بن خديج الكندي بافريقية مبتدئاً الخبر بذكر مصدره قائلاً: " وذكر الرقيق في كتابه قال كان هرقل ملك القسطنطينية العظمى ورومة..."⁽²⁾ ، وكذلك قوله: " وفي سنة 46هـ قال البلاذري: أول من غزا صقلية معاوية بن خديج بعث إليها عبد الله بن قيس.."⁽³⁾ ، وأحياناً أخرى يذكر مصدره في آخر الخبر في مثل الأخبار التي يوردها في آخر أخبار سنة خمس وأربعين للهجرة هـ قائلاً: " وبعث ابن خديج بالخمس إلى معاوية ابن أبي سفيان ، هكذا نص عريب في مختصره للطبري."⁽⁴⁾ ، كما يستخدم ابن عذاري في الإشارة إلى مصادره الشفوية عدة تعابير مثل "حدثني" أو "أخبرني" أو "أخبرني من أثق به" ومثال ذلك من بعض ما ذكر في أخبار الفتح قوله " أخبرني الشيخ صالح أبو علي صالح بن أبي صالح...".⁽⁵⁾

أما ابن خلدون وطريقة توثيقه لمصادر أخباره عن الفتح الإسلامي للمغرب فالملاحظ أنه كان حريصاً أشد الحرص على ذكر مصادره وتوثيق مادته، وقد اختلفت طريقتيه عن طريقة ابن عذاري في الإحالة على المصادر، وأخذت أساليب متعددة، فأحياناً يورد المصدر بشكل صريح ومتكامل، ذكراً اسم الكتاب ومؤلفه، مثال ذلك قوله " فقال أبو محمد بن حزم في كتاب الجمهرة "⁽⁶⁾، ومن جانب آخر يذكر بعض المصادر بأسماء مؤلفيها مثل قوله: " وذكر أبو محمد بن أبي زيد: إن البربر ارتدوا اثنتي عشرة مرة من طرابلس إلى طنجة...".⁽⁷⁾

(1) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص15.

(2) نفسه، ج1، ص17.

(3) نفسه، ج1، ص18.

(4) نفسه، ج1، ص17.

(5) نفسه، ج1، ص27.

(6) ابن خلدون، العبر، ج7، ص4.

(7) نفسه، ج6، ص144.

إن أبرز ما يميز طريقة ابن خلدون عن طريقة ابن عذاري أن ابن خلدون يقارن بين ما أشار إليه من مصادر وروايات ويرجح بعضها على بعض والأمثلة كثيرة في مختلف أجزاء كتابه العبر ضمن النصوص التي يتحدث فيها عن الفتح، ومن أمثلة ذلك نذكر ما أورده في قضية نسب البربر قوله " وقال سالم بن سليم المطمطي وصائب بن مسرور الكومي وكهلان بن أبي لوا وهم نسابة البربر : إن البرانس بتر... وربما نقل ذلك عن أيوب بن أبي زيد، إلا أن رواية ابن حزم أصح لأنه أوثق."⁽¹⁾ ، إن ابن خلدون عند نقله من المصادر يحدد غالبا مقدار ما ينقله ومقدار ما يقدمه المصدر من معلومات جديدة وأهمية المصدر الذي ينقل عنه.⁽²⁾

والمتتبع لصيغ ابن خلدون في ذكر مصادره سيلحظ أنها في الغالب تذكر بأسماء مؤلفيها فقط وهذا يسبب إشكالا خاصة عند المؤلفين أصحاب التأليف العديدة، ومن الأمثلة على ذلك المسعودي إذ ينقل عنه كتابي مروج الذهب والتنبيه والإشراف، لكنه يغفل في بعض الأحيان تحديد أي الكتابين ينقل، كما أنه أحيانا يستخدم كلمة صاحب للإشارة إلى مصادره دون ذكر اسم المؤلف صراحة أو كطريقة من طرق الاختصار ومثال ذلك قوله " وروجار صاحب صقلية المنسوب له الكتاب المشهور بين الناس لهذا العهد في هيئة الأرض والبلدان وأمثالهم...".⁽³⁾

ومن شدة حرص ابن خلدون على التوثيق لم يكتف فقط بذكر مصادره في معظم النصوص التي نقلها، بل اهتم أحيانا بذكر الإسناد الذي ذكره المصدر ربما رأى أن ذلك يخدم منهجه في التعامل مع مصادره، أو أن ذكر الإسناد أو مصدر الخبر يدعم من مصداقية الخبر، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه لا يهدف إلى توثيق معلوماته فحسب، بل إلى بيان دقة معلومات المصادر التي ينقل عنها من جهة، وأمانته في النقل من جهة أخرى، ومن أمثلة ذلك قوله: " وقال أيضا في كتاب الجمهرة ذكر لي يوسف الوراق عن أيوب بن أبي يزيد... "⁽⁴⁾ ، لم يغفل ابن خلدون عن المصادر التي لم يهتد إلى مؤلفيها، كما نسب معظم الأخبار والأشعار والأقوال والحكم إلى قائلها وأصحابها، وهنا يتضح الفرق بين ابن خلدون وابن عذاري المراكشي جليا في طريقة التوثيق لمصادرها المكتوبة والشفوية.

(1) ابن خلدون : العبر، ج6، ص117.

(2) خلدون سليم الحباشنة: المرجع السابق، ص 63.

(3) ابن خلدون: العبر، ج6، ص 128.

(4) نفسه، ج7، ص4.

والجدير بالذكر أن ابن عذاري وابن خلدون يشيران أحيانا إلى مصادر مجهولة بعبارات غير مضبوطة، فابن عذاري مثلا يشير في بعض أخباره عن الفتح عند توثيقها بإشارات مبهمه كقوله: "وذكر أشياخ من أهل افريقية"⁽¹⁾، وكذلك عبارة "وقال غيره"، وعبارة "قيل" في مثل قوله في صفة طنجة: "قيل: عملها مسيرة شهر في شهر"⁽²⁾، أما ابن خلدون فإنه أحيانا لا يبين كذلك مصادرهم بشكل واضح بل يكتفي بالإشارة لها بألفاظ تحمل صفة التعميم وعدم التحديد بعبارات مثل: "وذكر بعض الإخباريين" أو "قال بعضهم"، هذه الطريقة وان كانت قليلة ومحدودة في نصوص الفتح لدى ابن عذاري، فإنها أكثر منها عند ابن خلدون، وهي مأخذ يمكن أن يأخذ عليهم في مصداقية ما نقلوه من أخبار.

بالنسبة للأساليب التي استخدمها كل من ابن عذاري المراكشي وابن خلدون في تبيان بداية النقل من المصادر ونهايتها أو تواصلها فاختلقت كذلك لدى كل منهما، فابن عذاري المراكشي الذي كانت غالبية نقوله عن المصادر مقتبسة اقتباسا حرفيا، يشير غالبا إلى بدايتها بكلمة "قال" أو "روي" أو "ذكر" ملحقا هذه الدلالات في الغالب باسم مصدره عن الخبر، مثال ذلك قوله: "وفي سنة 46 هـ، قال البلاذري.."⁽³⁾، وقوله "ذكر الرقيق في كتابه يقول.."⁽⁴⁾، أما إشارات ابن خلدون إلى نهاية النقل فيمكن في الغالب تحديدها بنهاية الخبر إن لم يقم فيه ذكرا لمصدر آخر وبالتالي تكون نهاية النقل في آخر الفقرة أو في بداية إشارته لمصدر آخر، وفي حالات أخرى يذكر مصدره في آخر الفقرة وبالتالي كل ما ذكره في تلك الفقرة ينسب لذلك المصدر في مثل قوله "هكذا ذكر عريب في مختصره للطبري".⁽⁵⁾

أما عن ابن خلدون فتتجلى دقته وأمانته في الأخذ من المصادر التي استفاد منها بإشارته على الأغلب إلى بدء ونهاية النقل من مصادرهم، والشواهد على ذلك كثيرة، فهو يستخدم عبارات تدل على بدء النقل منها: ذكر، قال، حكى، روى، قرأت، رأيت، وهو في أغلب الأحيان يبدأ نقل النصوص بالإشارة إلى مؤلفها، ومن ذلك قوله: وقال الكلبي⁽⁶⁾، وقال هانيء بن بكور الضريسي⁽⁷⁾، وفي بعض الأحيان عندما ينقل نصوصا طويلة قد تستغرق صفحات فانه يشير بين فترة وأخرى إلى ما يدل على استمراره في النقل عن المصدر نفسه حيث

(1) ابن عذاري المصدر السابق، ج1، ص 11.

(2) نفسه، ج1، ص26.

(3) نفسه، ج1، ص18.

(4) نفسه ج1، ص17.

(5) نفسه، ج1، ص17.

(6) ابن خلدون: العبر، ج6، ص 117.

(7) نفسه، ج6، ص124.

يكرر الإشارة إلى المصدر الذي اعتمده عديد المرات، أما إشارته إلى نهاية النقل فتمثلت في عدة أساليب وألفاظ كقوله "انتهى" أو قوله "انتهى كلام ابن حزم" أو يختصرها هكذا "أه ابن حزم".

ومن خلال هذا كله نستنتج أن ابن خلدون قد تميز عن ابن عذاري المراكشي في طريقة الإشارة إلى الموارد بالضبط في قضية ترجيح المصادر والمقابلة بينها، زيادة على ذكر سند هذه المصادر في الخبر المنقول عنها ليثبت أمانيته العلمية أو مدى وثوقية الذين نقل عنهم الأخبار، مما يعطي رواية ابن خلدون دقة أكثر في التوثيق، كما تعطينا روايات متعددة في الحادثة ذاتها لأنه يقارن بين هاتين المصادر ويحدد الراجح منها والأقرب إلى الصحة، هذا من ابرز ما يميز ابن خلدون عن ابن عذاري في طريقة التوثيق، أما ما يميز ابن عذاري عن ابن خلدون فهو قلة الإشارات لمصادر مجهولة ولا يستخدم كثيرا دلالات التعميم المبهمة عكس ابن خلدون.

2- أسلوبهما في التنظيم:

اختلفت طريقة ترتيب مادة نصوص الفتح وعرضها لدى ابن عذاري وابن خلدون اختلافا جذريا نابعا من الأسلوب الذي يتبعانه في تقديم أخبارهما حول الفتح، وهنا أتحدث عن منهج الحوليات⁽¹⁾، ومنهج الموضوعات⁽²⁾، كما أن هذا الاختلاف راجع إلى طراز كتابتهما، ابن عذاري الذي جاء كتابه تاريخ محلي، وابن خلدون الذي يصنف كتابه ضمن التاريخ العالمي.

بداية بابن عذاري، يبدو أنه كان على دراية بأساليب الكتابة التي سادت قبله، في مقدمتها أسلوب الحوليات الذي يميزه ترتيب الأحداث وسردها حسب السنين، وأسلوب الرواية أي اختصار الأخبار وروايتها كحادثة واحدة متصلة بغض النظر عن السنين التي وقعت فيها⁽³⁾، لقد زواج ابن عذاري في جميع أجزائه وليس فقط نصوص الفتح بين منهجين: منهج الحوليات ومنهج الموضوعات⁽⁴⁾، حيث يذكر لنا السنة - الحولية- ويورد ضمنها حوادث مختلفة تحت عناوين موضوعات، أما الأسلوب الآخر الذي كان شائعا في التدوين فهو

(1) هو أحد المنهجين اللذين اتبعهما المؤرخ العربي في كتابته التاريخية، ويعني ترتيب الأحداث التاريخية حسب السنين أو ما يسمى بالطريقة العمودية، إن أول مؤلف عربي دون التاريخ على ترتيب السنين وبقي لنا كتابه هو أبو عمرو خليفة بن خياط العصفري (ت240هـ/854م)، كذلك من كتاب هذا النمط نجد الطبري ابن جرير في كتابه تاريخ الرسل والملوك الذي يعتبره فرانز روزنتال أول ما كتب بنظام الحوليات. أنظر: عبد الرحمن حسين العزاوي: التاريخ والمؤرخون، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1993، ص 131-133.

(2) من أقدم المناهج التي انتهجت في كتابة التاريخ، تعتمد على ترتيب الأحداث على حسب الموضوعات، وقد اتخذ أقدم المؤرخين هذه الطريقة في التأريخ لعهود الخلفاء والحكام وأول الدول مبدءا فريدا في الترتيب ومن أقدم المؤرخين اليعقوبي في تاريخه، وقد كان معاصرا للطبري صاحب المنهج الحولي. أنظر: عبد الرحمن حسن العزاوي: المرجع السابق، ص 191-192.

(3) عبد الواحد ذنون طه: "موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن المرابطين والموحدين..."، ص 212.

(4) عبد القادر زمامة: "مؤرخ المغرب والأندلس..."، ص 110.

الكتابة عن تاريخ المدن بشكل منفصل، وهذا اتبعه ابن عذاري كذلك، وتختلط في هذه الحالات المعلومات التاريخية بالمعلومات الجغرافية، وكانت هذه الظاهرة أمراً مألوفاً لا سيما في المغرب والأندلس، إذ كانوا يبدوون تاريخهم بالحديث عن جغرافية البلد الذي يؤرخون له. (1)

لقد اتخذ ابن عذاري مبدأ الحوليات أساساً في الترتيب لأحداث الفتح الإسلامي للمغرب، حيث ابتداءً بسنة (21هـ/641م) التي افتتح فيها عمرو بن العاص مدينة الإسكندرية⁽²⁾، ثم سار على هذا النسق الذي أطلق عليه اسم نسق التأريخ، ولكنه طور في هذا الأسلوب ليحوله ملائماً للتدوين، فمزجه بأسلوب الرواية وكتابة تاريخ المدن والجماعات، لكن لم يراعي ابن عذاري كمية المعلومات الواردة في الحوليات فقد تطول حولية وقد تقصر، أو لا هي بالقصيرة أو الطويلة، فقد تقصر الحولية لتشغل أقل من سطر مثال ذلك حولية سنة 29هـ⁽³⁾، وحولية سنة 37هـ⁽⁴⁾، وأحياناً تطول لتزيد عن الصفحة كحولية سنة 45هـ، وحولية سنة 46هـ.

إن أسلوبه في الإشارة إلى استمرارية الحولية حين ينتقل بين الموضوعات أو بين الأحداث هو بتكرار تاريخ الحولية في مثل حولية سنة أربعين للهجرة حيث ينقل فيها حادثة ثم ينتقل إلى أخرى مشيراً إلى استمراريته بعبارة "وفي سنة 40 المذكورة"⁽⁵⁾، وقد خدمته هذه الطريقة في عرض الأحداث بشكل أفضل، فحينما لا يكون المؤلف متأكداً من السنين، يختصر الأحداث ويرويها كحادثة واحدة خشية أن ينقطع السياق، فعلى سبيل المثال نجده يجمع ويختصر غزوات عقبة بن نافع سنة 62هـ/681م⁽⁶⁾، لأنه كما يقول "فلا أعلم هل كانت متصلة في هذا العام وحده أو فيه وفيما بعده من بقية أيام يزيد بن معاوية، فرأيت إيراد غزواته هنا مجموعة مختصرة لئلا ينقطع خبرها". (7)

لقد سعى ابن عذاري جاهداً للحفاظ على النظام الحولي لكتابه، لكنه يضطر أحياناً للخروج عن هذا الإطار حينما يورد أخباراً تفصيلية عن موضوع معين أو مدينة معينة أو جماعة خاصة، فيذكر معلوماته على شكل روايات متصلة، ومن أمثلة ذلك أنه بعد أن ينهي حديثه عن حوادث سنتي (49هـ/669م) وحوادث 50هـ/670م، يورد عنواناً تفصيلياً هو ذكر ولاية عقبة بن نافع إفريقية وغزواته فيها واختطاطه مدينة

(1) حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مدريد: معهد الدراسات الإسلامية، 1967، ص 54.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، ج 1، ص 8.

(3) نفسه، ج 1، ص 14.

(4) نفسه، ج 1، ص ص 15-19.

(5) نفسه، ج 1، ص 15.

(6) نفسه، ج 1، ص 23.

(7) نفسه، ج 1، ص 24.

القيروان⁽¹⁾، ويعد أن ينتهي من ذكر الأخبار المتعلقة بعقبة بن نافع يرجع إلى طريقة الحوليات فيقول: "رجع الخبر وفي سنة 51هـ/671م..."⁽²⁾، ويفعل الشيء نفسه بعد حوادث سنة 62هـ/671م، وتعيين عقبة على ولاية افريقية والمغرب في خلافة يزيد بن معاوية، فيذكر رواية تفصيلية مطولة تحت عنوان ذكر فتح المغرب الأقصى على يد عقبة رضه وغزواته وينهيها بعنوان آخر "ذكر وفاة عقبة بن نافع رضه، ويورد ضمن هذين الموضوعين معلومات تفصيلية عن جغرافية وتاريخ بعض المدن المهمة ثم يرجع إلى أحداث سنة 64هـ/683م.⁽³⁾

يبدوا من هذه الأمثلة التي ما هي إلا نماذج قليلة عن طريقة ابن عذاري في ترتيب مادته وعرضها أنه يتخذ أسلوب الحوليات مزوجا إياه بأسلوب الموضوعات، طارحا مادته حينما مختصرة في حالة عدم توفر مادة كافية لذلك، وقد أعانه الأسلوب الحولي في ذلك، ومن جهة أخرى مسهبا في تفصيل الأحداث بأسلوب الرواية حين يتوفر فيها معلومات كثيرة مستعينا بالعناوين والتفرعات التي يضعها لتفصيل الأحداث المهمة، هذا أبرز ما ميز طريقة ابن عذاري في ترتيب مادته، نأتي الآن إلى ذكر ما تميز به ابن خلدون في منهج ترتيبه لمادة نصوصه عن الفتح وعرضها، وعلى ضوء ما ذكرنا سابقا نتطرق إلى ذكر الفروقات بين المؤرخين وأثر هذه الفروقات على قيمة نصوص الفتح ومدى تماسك مواضيعها وفق المنهج المستخدم لدى كل منهما.

بالنسبة لابن خلدون ومنهجه في ترتيب المادة وعرضها تجدر الإشارة أولا إلى طبيعة كتاب العبر التاريخية، فابن خلدون يذكر على نحو واضح أنه كان ينوي فيما يتعلق ببحوث التاريخ أن يقتصر على تاريخ المغرب، ويؤيد ذلك قوله "وانأ ذاکر فی کتابي هذا ما أمکنني منه في هذا القطر المغربي إما صريحاً وإما متدرجا في أخباره وتلويحاً لاخصصاص قصده في التأليف بالمغرب وأحوال أجياله وأمه وذكر ممالكه ودوله دون ما سواه من الأخبار لعدم اطلاعي على أحوال المشرق وأمه..."⁽⁴⁾، لكن ابن خلدون عاد فوسع نطاق كتابه يجعله تاريخاً عاما شاملا لمختلف الأمم الشهيرة في عصره ليعطي كتابه ميزة أنه تاريخ أقطار بالدرجة الأولى وتاريخ موضوعي بالدرجة الثانية.⁽⁴⁾

لقد نهج ابن خلدون في تنظيم مؤلفه نهجا جديدا يختلف عن نهج كثير ممن كتبوا في التاريخ قبله، فقد كان سابقوه الغالب في مؤلفاتهم الترتيب حسب السنين، لكن ابن خلدون عدل عن هذه الطريقة إلى طريقة

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، ج 1، ص 18.

(2) ابن خلدون: العبر، ج 1، ص 20.

(3) نفسه، ج 1، ص ص 23-29.

(4) حسين عاصي: المرجع السابق، ص 124.

أخرى أدنى إلى الدقة والتنسيق، وقد قال في مقدمته: "وسلكت في ترتيبه وتبويبه مسلكا غريبا، واخترعته من بين المناحي مذهبا عجيبا، وطريقة مبتدعة وأسلوبا"⁽¹⁾، فقسم مؤلفه إلى كتب وقسم كل كتاب إلى فصول متصلة، وتتبع تاريخ كل دولة على حدة من البداية إلى النهاية، مع مراعاة نقط الوصل والتداخل بين مختلف هذه الدول، صحيح أن ابن خلدون ليس أول من ابتدع هذه الطريقة فقد سبقه إليها عدد غير يسير من المؤرخين كالواقدي والبلاذري وابن عبد الحكم، لكن ابن خلدون يمتاز عن أسلافه ممن سلكوا هذا المنهج في التأليف التاريخي ببراعة التنظيم والربط وحسن السبك كما يمتاز عنهم بالوضوح والدقة في تبويب الموضوعات والفهارس.⁽²⁾

أما فيما يخص نصوص الفتح الإسلامي للمغرب فقد طبق ابن خلدون عليها المنهج الذي سار عليه في كل كتابه العبر، والأمثلة في ذلك كثيرة نستحضر منها ما ذكره ضمن فصل "أخبار القائمين بالدولة العباسية من ولاية إفريقية"⁽³⁾، ثم يذكر تحت هذا الفصل عناوين فرعية يورد فيها هؤلاء الولاة وفتوحهم بالمغرب، ورغم أن ابن خلدون أورد أخبار هؤلاء الفاتحين ضمن كتاب تاريخ العرب إلا أنه ركز في أخبارهم على ما يتعلق بفتحهم للمغرب .

لكن ابن خلدون في حديثه عن أخبار الفتح الإسلامي للمغرب في جزئه السادس والسابع يرتب أحداثها ترتيبا مختلفا عن ما أورده سابقا من مقتطفات عن الفتح في أخبار خلفاء بني العباس الفاتحين، وبهذا يبدو أن ابن خلدون لم يختلف عن ابن عذاري في انتقاء موضوعاته عن أخبار المغرب، فقد ابتدئها بأنسب البربر وذكر أوليتهم⁽⁴⁾، ثم أورد فصلا عن مواطن البربر بالمغرب وإفريقية⁽⁵⁾، ثم يعقد فصلا في فضائل البربر⁽⁶⁾، بعدها يدرج فصلا وهو الأهم في ذكر أخبارهم على الجملة من قبل الفتح الإسلامي ومن بعده إلى ولاية بني الأغلب⁽⁷⁾، ويعرض في هذا الأخير جملة من أخبار الفتح الإسلامي للمغرب، لكن الغريب أنه لا يقسم أحداث هذا الفتح وفق الموضوعات بل سردها جملة دون عناوين تفصيلية.

(1) ابن خلدون: العبر، ج1، ص 9.

(2) علي عبد الواحد وافي: المرجع السابق، ص 124.

(3) ابن خلدون: العبر، ج4، ص 236.

(4) نفسه، ج6، ص116.

(5) نفسه، ج6، ص 128.

(6) نفسه، ج6، ص 135.

(7) ابن خلدون: العبر، ج6، ص 139.

إن ما ميز طريقة ابن خلدون أنه يسرد أحداث الفتح متواصلة بأسلوب الرواية، فهو يقص أخبار بلاد البربر من قبل الفتح مبتدءا بما تعاقب عليها من الملك والملوك وما كان لها من هيبة⁽¹⁾، ثم يطرح أخبار الفتح متسلسلة تسلسلا زمنيا مركزا على أهم أحداثها، و بهذا المنهج كان سائرا على خطى المسعودي الذي كتب تاريخا عاما أتى فيه على ذكر الممالك والشعوب والجغرافيا والعادات وسعى من خلالها إلى تنويع التاريخ أبا للعلوم الحيوية لعصره، وهي التاريخ بمعنى أخبار الدول والمسالك والممالك والآداب السلطانية.⁽²⁾

لما نأتى إلى المقارنة بين طريقة ابن عذاري وابن خلدون في تنظيم أخبارهما عن الفتح يتضح الفرق شاسعا، وفق ما طرحته من قرائن، فطريقة ابن عذاري المراكشي في تنظيم أحداث الفتح الإسلامي لبلاد المغرب وعرضها مزوجا فيها بين النظام الحولي والموضوعي مكنته من إعطاء كل حدث من حوادث الفتح تفاصيل أكثر وفق قالب موحد، فهو يركز غالبا في ذكره الحدث على الجغرافيا والأنساب والأحداث العسكرية، أما ابن خلدون فإن منهجه في ترتيب المادة الذي يورده بنظام الموضوعات ويجدده جغرافيا وزمنيا ثم يورد ضمنه أحداثا متتابعة بتفاصيل متنوعة دون تقييد بعناصر محددة يمضي عليها في كل كتابه بل ينوع طريقة تنظيمه حسب مقتضيات الحدث الذي ينقله، مما يعطيه حرية في انتقاء نوع الأخبار.

3- الضبط والإحصاء :

أ- الضبط الزمني :

إذا نظرنا في نصوص ابن عذاري المراكشي بما أنه اعتمد النظام الحولي فبطبيعة الحال قد اهتم اهتماما كبيرا بضبط التواريخ، والمتتبع لكيفية ضبط ابن عذاري لتواريخه أثناء سرده أخبار الفتح الإسلامي للمغرب أو باقي أجزاء كتابه يلاحظ أنه فيما يتعلق بتاريخ الفتح يورد ذكر السنوات في الغالب، وأحيانا يورد التوقيت من اليوم في مثل قوله: "ضحى النهار"⁽³⁾ أو يؤرخ بالمناسبات في نحو قوله "يوم الفطر".⁽⁴⁾

(1) نفسه، ج6، ص 140.

(2) خلدون سليم الحياشنة: المرجع السابق، ص 105.

(3) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 10 .

(4) نفسه، ج1، ص 15 .

أما في باقي أجزائه فإنه يضبط التواريخ ضبطا دقيقا حتى أنه يورد التواريخ كاملة باليوم والشهر والسنة وحتى بالتوقيت من اليوم كقوله: "يوم الجمعة صدر ربيع الأول من سنة 319هـ"⁽¹⁾، وقوله " عند غروب الشمس من يوم الأربعاء لأربع عشرة من ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة 380هـ"⁽²⁾، بهذا نلاحظ فرقا بين ضبط ابن عذاري لتواريخه في أحداث الفتح وبين ضبطها في باقي أخبار كتابه، ومرد ذلك ولا شك إلى بعد أحداث الفتح عن عصره وليس إهمالا منه أو تقصيرا، فكلما اقتربت الأحداث من عصره زاد الضبط الزمني دقة، فهو يؤرخ فيها حتى بمواقيت الصلاة كقوله: " بعد صلاة العشاء"⁽³⁾، وقوله أيضا: " للنصف من شهر صفر ليلة الآخر بعد صلاة المغرب"⁽⁴⁾.

كما نلاحظ أن ابن عذاري يؤرخ بالتاريخ الميلادي لكن نادرا نحو قوله " أول أيام من يناير... فلما دخل من فبراير بعض أيام"⁽⁵⁾، وقوله: " وفي سنة 308هـ... غزاة موبش... يوم السبت لثلاث عشر ليلة خلت من المحرم سنة 308هـ وهو اليوم الثالث من شهر حزيران"⁽⁶⁾، وقوله قوله " صدر ذي القعدة"⁽⁷⁾ أو "غرة ربيع الأول"⁽⁸⁾، كما يعبر عن آخر الشهر بقوله: " منسلخ صفر"⁽⁹⁾، أو قوله "انقضاء ذي القعدة"⁽¹⁰⁾. أما ابن خلدون وطريقة ضبطه الزمني للأحداث فقد كان يورد تاريخ الحوادث بذكر السنين فقط، كقوله " ثم ولى معاوية سنة خمس وأربعين"⁽¹¹⁾، وفي الغالب يسير ابن خلدون على هذا المنوال في جل ما يورده من أخبار الفتح الإسلامي للمغرب، فلا يذكر لا الشهر ولا اليوم، وجدير بالملاحظة أن ابن خلدون قد أخطأ في ما أورده من تواريخ أخطاء كثيرة ربما كان بعضها خطأ من الناسخين لكن وعلى ما يبدو أن ابن

(1) نفسه، ج 2، ص 282.
(2) نفسه، ج 2، ص 284.
(3) نفسه، ج 1، ص 110.
(4) نفسه، ج 2، ص 208.
(5) نفسه، ج 2، ص 119.
(6) نفسه، ج 2، ص 175.
(7) نفسه، ج 2، ص 44.
(8) نفسه، ج 2، ص 31.
(9) نفسه، ج 2، ص 283.
(10) نفسه، ج 1، ص 266.
(11) ابن خلدون: العبر، ج 4، ص 237.

خلدون مسؤول عن كثير منها وربما كان سبب ذلك عدم تخصصه في تاريخ الفتح الإسلامي للمغرب دون أن ننسى بعده عن زمن الأحداث⁽¹⁾، ونجد أيضا ابن خلدون لا يذكر تواريخ أحداث الفتح بكثرة، ولا يضبط التواريخ ضبطا دقيقا في مثل قوله: "وكانت هذه الغزوة سنة ثمان وعشرين، وقيل تسع وعشرين، وقيل ثلاث وثلاثين"⁽²⁾.

من خلال هذه المعطيات التي سبق وذكرت نستخلص عند المقارنة في دقة ضبط تواريخ أحداث الفتح الإسلامي للمغرب أن ابن عذاري المراكشي أدق في ضبطها نظرا لانتهاجه لأسلوب الحوليات في طريقة ترتيبه الأحداث مما جعل ذكر التواريخ وتدقيقها لزاما عليه فقد أعطاها جل اهتمامه، في حين أن ابن خلدون يذكر التواريخ بمقتضى السنين كما أنه أحيانا عند عدم وثوقه من التاريخ فإنه يذكر احتمالات عديدة لسنة ذاك الحدث أو الخبر، وهذا فيما يخص أخبار الفتح فقط.

ب- الضبط الإحصائي:

يشمل هذا الضبط الإحصائي المعطيات الرقمية المتمثلة في معطيات المعارك من تجهيزات حربية وأسرى وجرحى وخسائر مادية، بالإضافة إلى معطيات عددية أخرى في مجال الاقتصاد أو اجتماعية خاصة بالكوارث، وقد حوت نصوص كل من ابن خلدون وابن عذاري على هذه الإحصائيات، فابن عذاري تعرض في كتابه للكثير من الإحصاءات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، قوله في جرجير: "وكان في مائة وعشرين ألفا"⁽³⁾، وقال في أخبار معاوية بن خديج: وبعث ملك الروم البطريق المتقدم ذكره في ثلاثين ألفا"⁽⁴⁾، وعن المعطيات الاقتصادية نذكر "بعث إلى إفريقية بطريقا يقال له أوليمة، وأمره أن يأخذ ثلاثمائة قنطار من الذهب"⁽⁵⁾، كما إن ابن عذاري يقدر الغنائم في الغالب بالكثرة في مثل قوله "فغنم المسلمون غنائم كثيرة"⁽⁶⁾، وقوله "وأخذ المسلمون من سبيهم وخيلهم غنائم كثيرة"⁽⁷⁾.

وتعكس معطيات أخرى تعرضه إلى ذكر التفاصيل فهو يقدم حتى إحصائيات عن عدد الأسواق والحمامات كمثل ذكره لأسواق تيهرت الحديثة قائلا "وللحديثه أسواق كثيرة عامرة واثنان عشر حماما وحوليتها

(1) حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص 331-312.

(2) ابن خلدون: العبر، ج2، ص 576.

(3) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 10.

(4) نفسه، ج1، ص 17.

(5) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 17.

(6) نفسه، ج1، ص 24.

(7) نفسه، ج1، ص 24.

من قبائل المغرب أمم كثيرة⁽¹⁾، وما أكثر الأمثلة، وحتى في حالة عدم توفر إحصاءات فإن ابن عذاري يعبر عنها بعبارات ليحلب أكبر عدد ممكن من الإحصاءات ليدعم بها كتابه كنحو قوله: "وقتلوا تفتيلا وأصيب من غنائمهم ما لم يعهد مثله"⁽²⁾، وقوله: " في عدد لا يحصى، ولا يبلغ بالاستقصاء"⁽³⁾، وقوله: "عجز الإحصاء عن عد من قتل فيها"⁽⁴⁾.

أما لو أمعنا النظر في نصوص ابن خلدون عن الفتح باحثين عن ذكر للإحصائيات فسنلاحظ كذلك اهتمامه بذكر الإحصاءات العددية، ونستحضرها في بعض الأمثلة مثل قوله في " شأن فتح افريقية على يد عبد الله بن أبي سرح وكيف زحف إليها في عشرين ألفا من الصحابة وكبار العرب"⁽⁵⁾، كما نلاحظ أنه يورد إحصاءات اقتصادية عن غنائم الحرب في نحو قوله: "لقد طلب أهل افريقية من أبي سرح أن يرحل عنهم بالعرب إلى بلادهم ويعطوه ثلاثمائة قنطار ففعل"⁽⁶⁾، والأمثلة كثير من مختلف أجزاء العبر.

ومن الأكيد أنه في باقي الأخبار عن الدول والأمم قد استخدم الإحصائيات على حسب قربه من عصر تلك الأحداث، وجدير بالملاحظة فعلا أنه في حال عدم وجود إحصاءات لا يستخدم عبارات بديلة ولا عبارات تضخيم ولا مبالغة مثل ابن عذاري، وحتى أنه قدم نقدا لاذعا للكثير من المؤرخين في مقدمة كتابه لا سيما في هذه المسألة وأن أغلب المغالط التي يقع فيها المؤرخين عند مبالغتهم في الإحصاء، حيث يشير في مقدمة كتابه إليها قائلا: " فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط ولا سيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات إذ هي مضنة الكذب ومطية الهذر ولا بد من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد."⁽⁷⁾

4- أسلوبهما في كتابة تاريخ الفتح:

أ- الأسلوب الأدبي

(1) نفسه، ج1، ص 25.

(2) نفسه، ج1، ص 24.

(3) نفسه، ج1، ص 35.

(4) نفسه، ج1، ص 224.

(5) ابن خلدون، العبر، ج4، ص 236.

(6) نفسه، ج4، ص 236.

(7) ابن خلدون: العبر، ج1، ص 13.

إن المطلع على نصوص ابن عذاري والمتمعن فيها يتأكد له أن ابن عذاري كان ذو مستوى عالي من التمكن في اللغة والأسلوب، وتنقي العبارات والألفاظ المناسبة الواضحة السلسة الموجزة في إيصال المعنى، فلغته في تقديم الأخبار سليمة قوية الدلالات، ولا نذهب بعيدا لإثبات ذلك بل نطلع على مقدمته التي أوردتها بأسلوب أدبي بديع، حيث يكثر فيها السجع، ونأخذ منها مثالا قوله: جعلنا الله ممن نظر فأعتبر، ووعظ فأزدجر، فإن خير ما شغلت به الأذكار والأفكار، وتحدثت معه بالليل والنهار، حفظ ما أفاد من العلوم والأخبار...". (1)

أما ضمن الأخبار التي نقلها عن الفتح فلم ألاحظ أعمال أسلوبه الأدبي الذي رصدته في مقدمة كتابه، بل قدم أخباره عن الفتح بلغة بسيطة، باستثناء ذكر بعض الأبيات وبذلك يمكن اعتبار البيان المغرب من كتب الأدب والتاريخ على طريقة السرد، فهو يفيدنا إلى جانب المادة التاريخية بمعلومات ونصوص أدبية، مثال ذلك ما ذكره في وصف تيهرت وشتاءها من أبيات: " ما أطول البرد وربعانه وأطرف الشمس بتيهرت". (2)

الواضح أن نقول ابن عذاري في ما يخص الفتح كانت في أغلبها حرفية عن المصادر التي اعتمدها دون تصرف، فقد التزم فيها الحياد بالنسبة للأحداث التي يتكلم عنها ولا يتورط في المديح أو الذم أو استخدام عبارات التملق، وترك مهمة الإشادة أو الانتقاص للذين ينقل عنهم الأخبار، وقليلة هي المسائل التي يؤيدها بوجهة نظره ويبيدي فيها رأيا بأسلوبه الخاص حاشا بعض العبارات التي يستخدمها عند الإشارة إلى مصادر أو انقطاع أخبار كمثل قوله عن غزوات عقبة: " فرأيت إيراد غزواته هنا مجموعة مختصرة لئلا ينقطع خبرها، إذ مبدأها هذه السنة في ولاية يزيد". (3)

أما أسلوب ابن خلدون التاريخي فجاء في مستوى عالي يظهر من تمكنه في اللغة، ومقدمة كتابه أكبر دليل بدءا من فاتحتها التي سار فيها على سجع وكلام بديع متوازن قوي المعنى، وتجدر الإشارة أن سيطرة السجع على الكتابة التاريخية بدأ من خلال تراجم الإطراء التي دونها الموظفون لأسيادهم، ففي هذه الكتب شعروا أن من واجبهم استخدام مواهبهم في أساليب السجع التي كانت شائعة عند كتاب الديوان⁽⁴⁾، ونأخذ مثلا من مقدمته حيث يقول: " فالتحقيق قليل، وطرف التنقيح في الغالب كليل والغلط والوهم نسيب للأخبار

(1) ابن عذاري : المصدر السابق، ج1، ص 1.

(2) نفسه، ج1، ص 25.

(3) نفسه، ج1، ص 24.

(4) فرانز روزنتال: المرجع السابق، ص242.

وخليل، والتقليد عريق في الآدميين وسليل، والتطفل على الفنون طويل عريض...⁽¹⁾، ولو بحثنا عن مثيل هذا الإبداع اللغوي في باقي أجزاء العبر وضمن نصوص الفتح الإسلامي للمغرب فسنجد الكثير من الأمثلة. إن ابن خلدون يورد أخبار الفتح التي نقلها بأسلوبه اللغوي الخاص وبعبارات أدبية بليغة بتصرف، لكن ما لاحظته أن قوة هذه اللغة لا ترقى إلى مستوى لغة التنظير في المقدمة من سجع وطباق فهي أبسط منها نوعا ما، ولا شك في أن سبب ذلك طبيعة الأخبار التي تفرض ذلك، وجدير بالذكر أن ابن خلدون قد أشتغل بالخطابة، مما يدل على تطور مستواه اللغوي، وفصاحته وبلاغة ألفاظه⁽²⁾، كما أن ابن خلدون قد ضرب في مقدمته فصولا عن الكتابة⁽³⁾، وفي الأدب وفنونه⁽⁴⁾، وتحدث عن العلاقة بين كثرة الحفظ وإتقان اللسان العربي، ومدى أهمية ذلك في تبليغ المقصود بدقة إذ يقول " فإذا حصلت الملكة التامة قي تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع وهذا هو معنى البلاغة".⁽⁵⁾

إذا يظهر من خلال هذا العرض تمكن ابن عذاري وابن خلدون من اللغة والأسلوب الأدبي، لكن الأول كان متمكنا على المستوى اللغوي والأدبي دون أن يعمل هذا الأسلوب بكثرة في أخباره عن الفتح، أما ابن خلدون فقد كان في مستوى عالي جدا في اللغة والبلاغة في إيصال المعاني بألفاظ دقيقة انعكست ثمارها في ما لخصه من نصوص الفتح ولم يقتصر على النقل الحرفي من مصادره مما جعل أخباره تأتي مختصرة وبأسلوب بليغ معبر بدقة عن هذه الأحداث، وبالتالي يمكننا القول بأن ابن خلدون قد أعمل أسلوبه الخاص في نقل الأخبار عن الفتح ولخص ما في المصادر على عكس ابن عذاري الذي قدم نصوص الفتح منقولة من مصادره بمضامينها الأصلية يلحظها القارئ في تلون نصوصه ومستوى لغتها وكأن من كتب البيان المغرب هم مؤرخون كثيرون وليس مؤرخا واحدا فجاء ابن عذاري بمثابة الجامع لهذه الأخبار.

ب- الاختصار والنقد:

تعتبر ظاهرة الاختصار والتلخيص للنصوص مفيدة أحيانا ومضرة في أخرى وهي تخضع الى مدى براعة الكاتب أو المؤرخ، وقد شاعت ظاهرة المختصرات ليس فقط في كتابة التاريخ بل في علوم شتى، ويعتبر

(1) ابن خلدون، العبر، ج1، ص 6.

(2) سامية حسن الساعاني: المرجع السابق، ص 11.

(3) ابن خلدون: العبر، ج1، ص 524.

(4) نفسه، ج1، ص 734.

(5) نفسه، ج1، ص 764.

ابن عذاري من الذين سلكوا أسلوب الاختصار والتلخيص إذ كان محبا للإيجاز⁽¹⁾، كما أنه يصرح بذلك في عدة مواضع كقوله في فاتحة كتابه: "أن أجمع له كتابا مفردا في أخبار ملوك البلاد الغربية على سبيل الإيجاز والاختصار... فجمعت نبذا ولمعا.. جمعت ذلك من الكتب الجليلة مقتضيا من غير إسهاب ولا إكثار"⁽²⁾، كما أنه أثناء بيان تقسيمات كتابه يذكر أنه اختصر فيه الأخبار في نحو قوله: "أما الجزء الأول فاختصرت فيه أخبار افريقية".⁽³⁾

لكن الملفت للانتباه أن نصوص الفتح لم يمسه هذا الاختصار إلا نادرا، فقد بدا لي من خلال تتبعي لها أن هذا الاختصار كان اقتصادا في حجم الأخبار والنقول ونادرا ما أصادف اختصارا في المعاني أو تلخيصا لنصوص طويلة، بل إنه يورد اقتباسات من مواردها حول الفتح بتفاصيل كثيرة، ودون إعمال نقد لأسانيد هذه الروايات ولا متنها، مثل ذكره لقتل عبد الله بن الزبير رضه لجرجير ملك افريقية⁽⁴⁾، في حين يختصر أخبارا أخرى دون ذكر تفاصيل مع ذكر سبب هذا الاختصار الشديد مثل حولية سنة 33هـ التي تحدثت عن غزوة عبد الله بن سرح مرة ثانية⁽⁵⁾، ويبدوا أن ابن عذاري كان مدركا لتقصيره في ذكره لبعض الأخبار بسبب الاختصار، فقد أخبرنا بذلك في مقدمة كتابه قائلا: "فإن كنت قصرت فيما اختصرت فعذرا فيما ظهر من تقصير".⁽⁶⁾

أما أسلوب ابن خلدون في التلخيص والاختصار فقد كان دقيقا فراه يعيد صياغة الأخبار بأسلوبه الخاص دون أن يخل بمعناها، فالمطلع على ما نقله من أخبار الفتح الإسلامي للمغرب يلحظ بصورة تشد الانتباه مدى ترابط فقرات هذه الأخبار، وكيف يشرك في ذكر الخبر الواحد عدة مصادر، وهو بأسلوبه يقدم توثيقا دقيقا، لدرجة أن بعض النصوص لو جمعت لشكلت كراسات تاريخية مستقلة، وهو في نقله يتبع أحيانا طريقة النقل الحرفي، وأحيانا طريقة نقل المعنى وأخرى يستخدم معها أسلوب التلخيص.

ومن دلالات استخدام ابن خلدون التلخيص قوله: " وهذا آخر الكلام في الخلافة الإسلامية وما كان فيها من الردة والفتوحات والحروب ثم الاتفاق والجماعة أوردتها ملخصة عيونها ومجامعها من كتاب محمد

(1) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، بيروت: دار العلم للملايين، 1983، ج6، ص 404.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 2.

(3) نفسه، ج1، ص 3.

(4) نفسه، ج1، ص 10.

(5) نفسه، ج1، ص 14.

(6) نفسه، ج1، ص 5.

بن جرير الطبري"⁽¹⁾، ومن أمثلة اختصار ابن خلدون للأخبار تنقله السريع بين الأحداث في مثله قوله: "ثم كان الاجتماع والاتفاق على معاوية بن أبي سفيان، وبعث معاوية بن خديج السكوني من مصر لافتتاح افريقية سنة خمس وأربعين، وبعث ملك الروم من القسطنطينية لمدافعتهم في البحر فلم تغن شيئا وهزمهم العرب ساحل أجم وحاصروا جلولا وفتحوها وقفل معاوية بن خديج إلى مصر فولى معاوية على افريقية بعده عقبه بن نافع فاخطت القيروان...".⁽²⁾

إن ابن خلدون قد أختصر الحوادث بأسلوب مميز، فهو يركز على نقاط معينة في ذكر كل حادثة، فنفس الشيء ذكره في قوله: "وزحف زهير بن قيس البلوي في ولاية عبد الملك للثأر بدم عقبه سنة سبع وستين وجمع له كسيله سائر البربر ولقيه بجيش من نواحي القيروان فاشتد القتال بين الفريقين ثم انهزم البربر وقتل كسيله ومن لا يحصى منهم"⁽³⁾، ولو قابلنا رواية زهير بن قيس البلوي عند ابن خلدون بنظيرتها عند ابن عذاري فستبين فرق كبير بينهما، فابن عذاري يذكر تفاصيل أكثر بكثير عن زهير بن قيس البلوي مع كسيلة⁽⁴⁾، من التي اختصرها ابن خلدون في بضع أسطر لا تتعدى العشرة، وطابع جل ما ذكره ابن خلدون الاختصار والتلخيص.

أما أعمال النقد في الأسانيد وفي المتون فلا شك أن ابن خلدون له قاعدة في التمحيص والتثبت من صحة الأحداث عكس ابن عذاري الذي يعتبر إخباري ينقل أحداثا بمثابة نقل عن نقل ناقل وصولا إلى المصدر الأول الذي هو عين رأت من الأحداث مظهرها الخارجي فقط، وافتقرت إلى الحد الأدنى من الانتقاد والتحليل، بينما يؤكد ابن خلدون على أن التاريخ ليس مجرد حشد عشوائي من الأحداث وان بدا ظاهريا كذلك، إذ يكتفي المؤرخ من التاريخ بمجرد ربط أحداثه أو سردها بهدف التسلية أو لغرض وعضي أخلاقي.

ان إشارة ابن خلدون إلى علم التاريخ بأنه "نظر وتحقيق"⁽⁵⁾، لأكثر دليل على الرفض للسرد والإخبار وتنويه بضرورة تأسيس نظرية متماسكة لتفسير وفهم الوقائع والأخبار والأحداث، فقد وجه نقدا للمؤرخين من طراز ابن عذاري، ويشخص خصائص هذا النوع من المؤرخين الذي يصرح أن ميزتهم ذكر الأحداث التاريخية دون الاهتمام بسندها وفيما إن كانت صحيحة أم لا، وغلبة عنصر التكرار في المواضيع التي تطرقوا إليها

(1) ابن خلدون: العبر، ج2، ص 620.

(2) نفسه، ج6، ص 141.

(3) نفسه، ج6، ص142.

(4) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 32.

(5) ابن خلدون: العبر، ج1، ص6.

متبعين بذلك المؤرخين المتقدمين مع غلبة الطابع القصصي، كما أنهم لم يكتفوا بنقل ما تم إنجازه من قبل وحسب، بل إنهم تجاوزوا إلى اختصار تلك التواريخ اختصاراً شديداً فيقول عنهم " ثم جاء آخرون بإفراط الاختصار وذهبوا إلى الاكتفاء بأسماء الملوك والافتصار، مقطوعة عن الأنساب والأخبار، وموضوعة عليها أعداد أيامهم بحروف الغبار".¹ ومن خلال هذا يظهر مدى عمق حسه النقدي للأخبار وناقليها.

¹ (نفسه، ج1، ص 8.

الخاتمة

من جميع ما سبق رصده خلص البحث إلى جملة من الاستنتاجات يمكن إجمالها على النحو التالي:

أن منهج الكتابة التاريخية يتأثر بجملة من العوامل بداية من ظروف العصر وطبيعة المجال الجغرافي وتكوين المؤرخ العلمي، حيث تتضافر هذه العوامل لتشكل ذهنية المؤرخ أو الذات التاريخية، ما يعطينا تفسيرات عديدة لوجود قسماش مشتركة بين رواد المدرسة التاريخية الواحدة، هذا ما لاحظته جليا أثناء رصدي لتطور الكتابة في المغازي والفتوح ضمن مجالي المشرق والمغرب الإسلاميين، ومن خلال معاينة الإنتاج التاريخي الإسلامي في المغازي والفتوح تبين أن الذي يوحد منهجه ورؤيته المفهوم المشترك للتاريخ في كل مراحل التاريخ المغربي الوسيط.

وبعد المقارنة بين مصادر ابن عذاري وابن خلدون في كتابة تاريخ الفتح الإسلامي للمغرب فإن الذي خلصت إليه هو تقارب نصوصهما من حيث تنوع محتواها المصدرى، غير أن الفرق بينهما يبقى في طريقة صياغتهما لأحداث الفتح من خلال هذه المصادر، فابن خلدون في تدوينه لأخبار الفتح قد سعى إلى صياغتها بما ينسجم وأسلوبه ومنهجيته الخاصة بعد أخذها من مواردها، مع محاولة طرح رأيه في هذه الأخبار والتثبت من صحة مواردها بعقد المقارنات بين مصادرها، في حين أن ابن عذاري قد أورد ما جاء في هذه المصادر دون مقارنات أو ترجيحات، أو أعمال أسلوب خاص في صياغتها، ويعاب عليه هنا ضعف حسه النقدي لما يعتمد عليه من مصادر وروايات ليبقى بمثابة الجامع للأخبار الناقل لها دون تحقيق أو تعليق.

وفيما يخص التجديد في منهج الكتابة أثناء تدوينهما لقضايا الفتح الإسلامي للمغرب، فقد توضح لي مدى إفادتهما ممن سبقوهم في هذا المجال سواء من كتاب السيرة والمغازي الأوائل أو من سبقهما من المؤرخين الذين دونوا أخبار الفتوحات ضمن تسلسل الموضوعات التاريخية في كتبهم، وقد بينت ذلك في الفصل الثاني من هذه الدراسة، من خلال إجراء مقارنة بين هيكلية المصادر التي اعتمداها والطريقة التي تحكما بها في المادة وعرضها، وجدير بالذكر هنا أن ابن عذاري وابن خلدون قد جددا في منهج الكتابة كل على طريقتة، لكن ابن خلدون قد تفوق في هذه اللمسة التجديدية عن نضيره ابن عذاري، فقد اتسم منهجه بسمات عديدة منها الشمولية والموسوعية والابتعاد عن النظام الحولي وانتهاجه ترتيب الفصول والأبواب في كتابه، مع إتباعه المنهج الحضاري في توضيح الأحداث وتحليلها زيادة على تأكيدته لنقد المتن والسند معا.

في حين جاءت الإشارة لمصادرها عن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب مختلفة، فما لاحظته أن ابن خلدون قد تميز عن ابن عذاري المراكشي في طريقة الإشارة إلى مصادره بالضبط في قضية ترجيح المصادر والمقابلة بينها، زيادة على ذكر سند هذه المصادر في الخبر المنقول عنها، مما يعطي رواية ابن خلدون دقة أكثر في التوثيق، أما ما ميز ابن عذاري عن ابن خلدون فهو قلة الإشارة لمصادر مجهولة فلم ألاحظ كثرة استخدامه لدلالات التعميم المبهمة عكس ابن خلدون.

أما طريقة ابن عذاري وابن خلدون في تنظيم أخبارهما عن الفتح فقد جاءت مختلفة نظرا لاختلاف طراز كتابيهما، فابن عذاري الذي اعتمد في تنظيم أخباره وعرضها على المزاجية بين النظام الحولي والموضوعي مكنته من إعطاء كل حدث من حوادث الفتح تفاصيل أكثر وفق قالب موحد، أما ابن خلدون فإن منهجه في ترتيب المادة هو نظام الموضوعات، ويورد ضمنها أحداثا متتابعة بتفاصيل متنوعة دون تقييد بعناصر محددة يمضي عليها في كل كتابه بل إنه ينوع طريقة تنظيمه حسب مقتضيات الحدث الذي ينقله، مما جعل أحداث الفتح مبعثرة بين أجزاء كتابه على شكل نبذ مختصرة، عكس ابن عذاري الذي يوردها متسلسلة مرتبة ومتتابعة.

كذلك اختلف أسلوبهما في الكتابة، فمن حيث الضبط الزمني نجد ابن عذاري دقيقا جدا فيه عكس ابن خلدون، أما الضبط المكاني فيعتبر ابن خلدون قد قدم وصفا جغرافيا متميزا عن وصف ابن عذاري وأدق منه، وقد تلمست بالنسبة للتلخيص وإعمال النقد فرقا شاسعا بينهما، فابن خلدون كان أسلوبه اللغوي متميزا ويختصر جل أخبار الفتح الإسلامي للمغرب بعبارات بليغة دون إخلال بالمعنى راجع بطبيعة الحال لتمكنه العالي من اللغة إذ نلمس أسلوبه حاضرا دائما ونادرا ما يعتمد النقل الحرفي عكس ابن عذاري تماما.

وحتى في إعمال النقد في المتن والسند فإن ابن خلدون يتفوق على ابن عذاري كثيرا في هذه النقطة، فلا شك أن ابن خلدون له قاعدة في التمهيد والتثبت من صحة الأحداث عكس ابن عذاري الذي يعتبر إخباري ينقل أحداثا بمثابة نقل عن نقل ناقل وصولا إلى المصدر الأول الذي هو عين رأت من الأحداث مظهرها الخارجي فقط، وافتقرت إلى الحد الأدنى من الانتقاد والتحليل، بينما يؤكد ابن خلدون على أن التاريخ ليس مجرد حشد عشوائي من الأحداث وان بدا ظاهريا كذلك، إذ يجب أن لا يكتفي المؤرخ من التاريخ بمجرد ربط أحداثه أو سردها.

وفي الختام أرجوا أني قد وفقت في تقديم صورة عامة وشاملة عن منهج ابن عذاري وابن خلدون في كتابة تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وما كان من صوابه فهو فضل من الله، وما كان من خطأ وسهو فحسبي فيه أني بشر.

الوراقفة

1 - المصادر:

- ابن الأبار، أبو عبد الله (ت658هـ/1259م): **التكملة لكتاب الصلة**، مدريد: مطبعة روخس، 1826.
- _____، _____: **الرحلة السيرة**، تح: حسين مؤنس، القاهرة، 1963، ج2.
- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ/1182م): **الصلة**، تح: إبراهيم الإياري، القاهرة: دار الكتاب المصري - بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1989، ج1.
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف الأتابكي (ت874هـ/1470م): **النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة**، تعليق وتقديم: محمد حسن شمس الدين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1992م، ج13.
- ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت852هـ/1448م): **رفع الإصر عن قضاة مصر**، تحقيق: علي محمد عمر، ط1، القاهرة: منشورات مكتبة الخانجي، 1998م.
- الحميدي، أبي عبد الله محمد بن أبي نصر (ت488هـ/1095م): **جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس**، الدار المصرية، القاهرة، 1966.
- ابن الخطيب، لسان الدين السلماني (ت776هـ/1374م): **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: محمد عبد الله عنان، ط1، القاهرة: منشورات الشركة المصرية للطباعة والنشر، 1975، ج3.
- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت808هـ/1405م): **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، مراجعة: خليل شحاتة، بيروت: دار الفكر، 2000م، 8 أجزاء.
- _____، _____: **رحلة ابن خلدون - عبد الرحمن بن محمد الخضرمي الاشيلي (ت808هـ) -**، عرض: محمد بن تاويت الطنجي، ط1، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، 2004.
- ابن خلكان، شمس الدين (ت681هـ/1282م): **وفيات الأعيان**، تح: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، د.ت، ج2.
- أبو زيد القيرواني، محمد عبد الله (ت386هـ/922م): **كتاب الجامع في السنن والمغازي والتاريخ**، تح: محمد أبو الأجنان و عثمان بطيخ، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة؛ تونس: المكتبة العتيقة، 1983.

- السخاوي، شمس الدين (ت 902هـ/1496م): الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق: فرانز روزنتال، ترجمة: صالح أحمد العلي، ط1، بيروت: منشورات مؤسسة الرسالة، 1986م.
- _____، _____: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط1، بيروت، دار الجيل، 1992م، ج4.
- السملالي، العباس ابن إبراهيم (ت: 1378هـ/1958م): الإعلام بمن حل بمدينة مراكش وآغمات من الأعلام، راجعه: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المملكة المغربية- الرباط: المطبعة الملكية، 1998.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيك (ت: 764هـ/1362م): الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرنؤوط و تركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث العرب، 2000.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت463هـ/1081م): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، القاهرة: مطبعة نهضة مصر، د.ت، ج3.
- ابن عبد الملك، أبو عبد الله محمد (ت: 703هـ/1303م): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، 1964، ج5.
- _____، _____: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: محمد بن شريفة، المملكة المغربية: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1984، ج8.
- ابن عذاري، أبو العباس أحمد المراكشي (حيا 712هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، ط3، بيروت، الدار العربية للكتاب، 1983، ج1، ج2.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت732هـ/1012م): تقويم البلدان، بيروت: دار صادر، د.ت.
- المالكي، أبي بكر عبد الله بن محمد: رياض النفوس، تح: بشير البكوش و محمد العروسي، ط2، بيروت-لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1994، ج1.
- المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ/1442م): الخطط المقرئية، بيروت: مكتبة العرفان، د.ت، ج2.
- _____، _____: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: محمود الجليلي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2002م، ج2.

- مؤلف مجهول: مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط1، المملكة المغربية-الرباط: دار أبي رقرق للطباعة والنشر، 2005.
- ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين(ت:626هـ/1228م): معجم الأديباء-إرشاد الأريب في معرفة الأديب-، تح: رضا تجدد، دن، 1971، 7 أجزاء.

2 - المراجع:

أ- الكتب:

- إسماعيل، محمود: الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، د.ت.
- بالثيا، أنجل جنثالث: تاريخ الفكر الأندلسي، تح: حسين مؤنس، بور سعيد- مصر: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.
- بروكلمان، كارل: تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار، مصر: دار المعارف، د.ت.
- الترحيني، محمد أحمد: المؤرخون والتاريخ عند العرب، بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، د.ت.
- الجابري، محمد عابد: العصبية والدولة- معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي-، ط6، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 1994م.
- جب، هاملتون: دراسات في حضارة الإسلام، تر: إحسان عباس، ط2،، بيروت: دار الطليعة، 1981م.
- الجوهري، محمد ومحسن يوسف: ابن خلدون إنتاج فكري متجدد، تقديم: إسماعيل سراج الدين، مصر: مكتبة الإسكندرية، 2008م.
- حسن حسني، عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، ط2، تونس: منشورات مكتبة المنار، 1982م.
- الحصري، ساطع: دراسات عن مقدمة ابن خلدون، ط3، القاهرة: مكتبة الخانجي؛ بيروت: دار الكتاب العربي، 1967م.
- الخضير، زينب: : فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1989م.
- خليفة، حاجي، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- الخليل، عماد الدين: ابن خلدون إسلاميا، ط1، بيروت: المكتب الإسلامي، 1983م.
- الدوري، عبد العزيز ، نشأة علم التاريخ عند العرب ، أبو ظبي: مركز زايد للتراث والتاريخ، 2000م.

- الزركلي، خير الدين: الأعلام، ط7، بيروت-لبنان: دار العالم للملايين، 1986م.
- الساعاتي، سامية حسن: ابن خلدون مبدعا -قراءة جديدة لفكره ومنهجه في علم الاجتماع-، ط1، القاهرة: منشورات المجلس الأعلى للثقافة، 2006م.
- سامعي، إسماعيل: تاريخ المغرب والأندلس - مستخرج من تاريخ الأمم والملوك، قسنطينة: منشورات جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 1998م.
- سليمان، فريد: مدخل إلى دراسة التاريخ، تونس: مركز النشر الجامعي، 2000م.
- السيد، عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، القاهرة: مؤسسة شباب الجامعة، 2007م.
- شاعر، مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون - دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام -، ط3، بيروت: دار العلم للملايين، 1983م.
- عاصي، حسين: ابن خلدون مؤرخا، ط1، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، 1991م.
- عامل، مهدي: في عملية الفكر الخلدوني، بيروت: دار الفارابي، 1985م.
- العبادي، أحمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1978م.
- عبد الله، عبد الغني: معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر هجري، ط1، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، 1991م.
- العروي، عبد الله: مجمل تاريخ المغرب، ط1، المملكة المغربية: المركز الثقافي العربي، 1996م.
- _____، _____: مفهوم التاريخ -الألفاظ والمذاهب المفاهيم والأصول-، ط4، المغرب- الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005م.
- عزوي، أحمد: رسائل موحدية، القنيطرة: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1995م.
- العزوي، عبد الرحمن حسين: التاريخ والمؤرخون، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1993م.
- عمارة، علاوة: دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، الجزائر- بن عكنون: ديوان المطبوعات الجامعية، 2008م.
- فروخ، عمر: تاريخ الأدب العربي، بيروت: دار العلم للملايين، 1983م.
- كوثراني، وجيه: تاريخ التأريخ -اتجاهات، مدارس، مناهج-، ط1، بيروت: منشورات المكتب العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012م.
- ماجد، عبد المنعم: مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي، القاهرة: مكتبة الانجلوا المصرية، 1987م.

- المنوني، محمد: المصادر العربية لتاريخ المغرب- من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث-، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1983م.
- مؤنس، حسين: التاريخ والمؤرخون-دراسة في علم التاريخ -، القاهرة: دار المعارف، 1984م.
- _____، _____: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مدريد: معهد الدراسات الإسلامية، 1967م.
- _____، _____: فتح العرب للمغرب، بور سعيد- القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، دت.
- نصار، ناصيف: الفكر الواقعي عند ابن خلدون -تفسير تحليلي وجدلي لفكر ابن خلدون في بنيته ومعناه-، ط3، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1994م.
- هوروفتس: المغازي الأولى ومؤلفوها، تر: حسين نصار، القاهرة: مطبعة الحلبي، 1949م.
- وافي، عبد الواحد: عبقریات ابن خلدون، ط2، المملكة العربية السعودية: عكاظ للنشر والتوزيع، 1984م.
- يزبك، قاسم: التاريخ ومنهج البحث التاريخي، ط1، بيروت: دار الفكر اللبناني، 1990م.

ب- الدوريات:

- التواتي، عبد الكريم: "مظاهر الثقافة والفكر بعهد بني مرين"، مجلة دعوة الحق، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط، ع1985/249م، ص 64-79.
- الجعماطي، عبد السلام: "ما فقد من التواريخ الفاسية نحو تأصيل لنشأة التدوين التاريخي بالمغرب الأقصى"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، عن مركز جمعة التراث والثقافة بدبي، ع72/ 2010م، ص 133-152.
- ذنون طه، عبد الواحد: "موارد تاريخ ابن عذارى المراكشي عن المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس"، العراق-بغداد: مجلة المجمع العراقي، ع1989/40م، ص 201-262.
- زمامه، عبد القادر: "مؤرخ المغرب والأندلس ابن عذارى المراكشي"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، تصدر عن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، ع17/ ماي 1997م، ص 107-108.
- طحطح، خالد فؤاد: "منهجية ابن خلدون التاريخية"، دورية كان التاريخية ع7/مارس 2010، ص 57-61.
- عبد الله، يسري عبد الغني: "إطلالة على تطور الكتابة التاريخية عند المسلمين"، دورية كان التاريخية، ع19/ مارس 2013، ص 111-117.

ج- الأطارح الجامعية:

- الحباشنة، خلدون خليل سليم: "ابن خلدون والتاريخ"، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، الجامعة الأردنية، 2010م.

- عماري، عبلة: "الكتابة التاريخية في المغرب الأقصى خلال القرن (7هـ/13م) - ابن عذاري المراكشي
أفمؤذجا-، مذكرة تخرج ماستر في التاريخ الوسيط، جامعة المسيلة، 2014
- قاتل، إلهام: "النص الخلدوني - زوايا النظر ومستويات القراءة-"، مذكرة تخرج في التاريخ الوسيط، جامعة
المسيلة، 2013م.

الكشافات

1- كشف الأعلام البشرية

2- كشف الكتب

1- كشاف الأعلام البشرية:

- أ -

11	أبان بن عثمان
19	ابن الأثير
27	ابن الأحمر
53، 50	الإدريسي
13، 11	ابن إسحاق
42	إسحاق بن الحسن
43	الاشبيلي
13	ابن أعثم الكوفي
57، 53، 49، 47	أيوب بن أبي يزيد

- ب -

42	ابن بشكوال
53، 50	بطليموس
51، 43، 28، 18	البكري
62، 58، 13، 12	البلاذري

- ت -

10	ابن تغبردي
25	تيمورلنك

- ج -

18	ابن الجزار أحمد بن خالد القيرواني
50	أبي جعفر الخازني

- ح -

19	ابن الحارث الخشني
59 ، 49 ، 48 ، 47 ، 12	ابن حزم الأندلسي
33	حسان بن النعمان
30	أبو الحسن المريني
53	حسين مؤنس
55	ابن حمادوه

- خ -

، 36 ، 30 ، 26 ، 24 ، 23 ، 22 ، 14 ، 13	ابن خلدون
68 ، 64 ، 59 ، 57 ، 55 ، 51 ، 50 ، 45	

- ذ -

10	الذهبي
----	--------

- ر -

51 ، 43 ، 28 ، 18	الرقيق القيرواني
51 ، 50	روجر الثاني

- ز -

27	ابن أبي زرع
70	زهير بن قيس البلوي

- س -

57 ، 53 ، 49 ، 48	سابق بن سليمان المظماطي
27	ابن سعيد الأندلسي

- ش -

19	ابن شداد الصنهاجي
38	شهاب الدين النويري
12	ابن شهاب الزهري

- ط -

70، 55، 47، 46، 42، 41، 14، 11	الطبري بن جرير
--------------------------------	----------------

- ظ -

25	الظاهر برقوق
----	--------------

- ع -

12	عاصم بن عمر بن قتادة
16، 19، 22، 24، 25، 26، 36، 41، 41	ابن عذاري المراكشي
51، 55، 57، 59، 64، 68	
29	أبي العباس أحمد البطوي
29	أبي العباس احمد بن النصار
30	أبي العباس بن البناء
42، 48، 51	ابن عبد البر
13، 62	ابن عبد الحكم
15	عبد الرحمن بن زياد
33	عبد العزيز بن مروان
11	ابن عبد الملك المراكشي
45	عبيد الله بن صالح
33، 34، 38	عثمان بن عفان

11	عروة بن الزبير
56، 41	عريب بن سعد
61، 60، 49، 44، 42، 40، 38	عقبة بن نافع
23	علاوة عمارة
56، 44	أبو علي صالح بن أبي صالح
50	عمر بن الخطاب
50، 40، 39	عمرو بن العاص
15	عيسى بن أبي المهاجر

– ف –

40	ابن ابي الفياض
----	----------------

– ق –

44	ابن قتيبة الدينوري
39	ابن القطان المراكشي

– ك –

57، 53، 49	كهلان بن ابي لوا
------------	------------------

– ل –

45	ليفني بروفنسال
----	----------------

– م –

30	محمد بن إبراهيم الآبلي
46	محمد بن ابي زيد القبرواني
29	محمد بن جابر الوادي آسي

23	محمد عابد الجابري
34	محمد صلى الله عليه وسلم
50، 47	المسعودي
70	معاوية بن أبي سفيان
70، 56، 41، 38	معاوية بن خديج
48، 47	منذر هشام بن محمد الكلبي
46، 45، 44، 42، 40، 39، 38	موسى بن نصير
19، 16	مؤلف مجهول

- ه -

53، 58، 49، 48، 38	هانيء بن بكور الضريسي
53	هانيء بن صدور الكومي
14	ابن هشام

- و -

62، 13، 11	الواقدي
46، 45	الوليد بن عبد الملك

- ي -

11	اليعقوبي
61، 60	يزيد بن معاوية
57، 49، 43	يوسف بن الوراق

2- كشاف الكتب:

- أ -	
51، 42	الاستيعاب في معرفة الأصحاب
44	الإمامة والسياسة
16	أنساب البربر
27	الأنيس المطرب بروض القرطاس
27	البيان المشرق في أخبار المشرق
27، 22، 19، 15	البيان المغرب
- ت -	
51، 40	تاريخ افريقية والأندلس
36	تاريخ افريقية والمغرب
45	تاريخ افريقية والمغرب
46، 41	تاريخ الرسل والملوك
48	التمهيد في الأنساب
- ج -	
46	الجامع في السنن والمغازي
19	الجمع والبيان في أخبار القيروان
56، 49، 47	جمهرة أنساب العرب
- ذ -	
19	الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة
- ر -	

27	روضة النسرین فی أآار بنی مرین
- س -	
14	سیرة ابن هشام
- ص -	
42	الصلة
- ع -	
14، 25، 26، 33، 52	العبر وديوان المبتدأ والخبر
- ك -	
48	كتاب الأنساب
40	كتاب العبر
- ل -	
30	لباب المحصل في أصول الدين
- م -	
43	المسالك
48	مسالك افريقية وممالكها
50، 43	المسالك والممالك
27	المشرق في حلى المشرق
11	المغازي
15	مغازي افريقية
18	المغرب
27	المغرب في حلى المغرب

19 ، 16	مفاخر البربر
55	المقباس
52	المقدمة
- م -	
50	نزهة المشتاق في اختراق الآفاق
39	نظم الجمان
28	نظم الجمان في أخبار الزمان

فهرس الموضوعات:

الإهداء

الشكر والعرهان

المقدمة أ-ي

الفصل الأول: الكتابة التاريخية في المغازي والفتوح (نشأتها وتطورها).....1-18.

1- الكتابة التاريخية المشرقية في المغازي والفتوح.....9-20.

أ- نشأتها خلال القرن الثالث للهجرة.....10-12.

ب- تطورها بعد القرن الثالث الى غاية الثامن للهجرة.....12-14.

2- الكتابة التاريخية المغربية في المغازي والفتوح.....15-20.

أ- نشأتها خلال القرن الثالث للهجرة.....15-17.

ب- تطورها بعد القرن الثالث الى غاية الثامن للهجرة.....18-20.

الفصل الثاني: مقارنة في ظروف ومؤثرات بناء الشخصية التاريخية.....21-34.

1- عصر ابن خلدون.....22-27.

2- نشأتها العلمية.....28-31.

3- مفهوم التاريخ عند ابن عذاري وابن خلدون.....31-34.

الفصل الثالث: مصادر ابن عذاري وابن خلدون في كتابة تاريخ الفتح الإسلامي للمغرب....35-54.

1- موقع تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ضمن كتابي "البيان المغرب" و"العبر".....36-38.

2- مصادرهما في كتابة تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب.....38-51.

أ- مصادر ابن عذاري في الفتح الإسلامي للمغرب.....38-45.

ب- مصادر ابن خلدون في الفتح الإسلامي للمغرب.....45-51.

- 3- مقارنة في مصادرها (التنوع والتوضيف).....54-51.
- الفصل الرابع:منهج ابن عذاري وابن خلدون في كتابة تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب..55-71.
- 1- طريقتهما في التوثيق.....59-55.
- 2- أسلوبهما في التنظيم.....63-59.
- 3- الضبط والإحصاء.....68-64.
- أ- الضبط الزمني.....65-63.
- ب- الضبط الإحصائي.....67-65.
- 4- أسلوبهما في كتابة تاريخ الفتح.....71_67.
- أ- الأسلوب الأدبي.....69-67.
- ب- الاختصار والنقد.....71-69.
- الخاتمة.....74-72.
- الوراقية.....81-75.
- الكشافات.....90-82.
- 1- كشاف الأعلام البشرية.....87-82.
- 2- كشاف الكتب.....90-88.
- فهرس الموضوعات.....92-91.